

مسرحيات عالميه

# الشَّاطِطِين

چون هوايتنج

ترجمة وتقديم:

محمود محمود

المسرح العالمى











١١

مسرحيات عالية

# الشياطين

الكتاب

نصف شهرية

تأليف:  
چون هوايتنج  
ترجمة وتقديم:

محمود محمود

أقرتها لجنة المسرح العالمي

المسرح العالمي  
هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى  
الدار القومية للطباعة والنشر  
الثقافة والإرشاد القومي

أول أغسطس ١٩٦٥



الشَّيَاطِينُ

The DEVILS

John Whiting

تأليف: جون هوايتنج

تقديم: محمود محمود





## مقدمة بقلم المترجم

كانت المسرحية دائماً في تاريخ الأدب الانجليزي منذ نشأته قالباً من القوالب الأدبية التي يفرغ فيها الكاتب فلسفته وآراءه . وليس هذا عجباً في بلد خرج منه شيكسبير أعظم الكتاب المسرحيين قاطبة في جميع الآداب .

غير أن تاريخ الأدب الانجليزي — برغم ذلك — يثبت أن المسرحية لم تكن لها الصدارة في هذا الميدان . بل لقد كانت القصة في أكثر العهود تبرزها وتتفوق عليها . فهي كما يقول ليدل الناقد الانجليزي في كتاب له عن القصة نشره في عام ١٩٤٧ « الشكل النثري الطبيعي الذي اختارته العقول الخلاقة منذ عهد ريتشارد سن للتعبير عن الزأى وتحليل الشخصيات » . ولئن صدق هذا القول حتى منتصف القرن العشرين مع قليل من الاستثناء ، فهو لا يصدق قطعاً في الفترة التي انقضت من النصف الثاني من هذا القرن ، وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٥٦ عندما مثلت لأول مرة مسرحية « أنظر إلى الوراء غاضباً » للكاتب المسرحي الحديث جون أوزبورن . ويمكن اعتبار هذه المسرحية حداً فاصلاً بين القديم والجديد في المسرح البريطاني .

وربما لم يكن مرد ذلك إلى أن هذه المسرحية قد أثت بجديد غير مسبوق . فقد تقدم نويل كوارد على أوزبورن في الاتجاه الجديد . وإنما مرده إلى نجاح منقطع النظير حظيت به هذه المسرحية ، وإقبال الجمهور عليها إقبالا شديداً يدعو إلى الدهشة والعجب .

• فحضر هذا النجاح كثيراً من الكتاب المحدثين على الاتجاه نحو المسرحية يتخذونها شكلاً للمضمون الذي يريدون الإفصاح عنه ، وبدأوا ينصرفون عن الأقصوصة والقصة .

ولم تلق مسرحية أوزبورن هذه رواجاً في بريطانيا وحدها ، بل لقد عبرت المحيطات إلى القارة الأوربية إلى أمريكا حيث ظهرت على المسارح هناك ، ولقيت من الاقبال ما لقيته في وطن المؤلف . ثم أخرجت في فيلم سينمائي ، وكتبت قصة للقراءة لمن لا يتيح له ظروفه مشاهدة التمثيل .

ولم تكن هذه المسرحية مجرد بدعة جديدة لكاتب مبتدع مجدد ، فقاعة تنتفخ ثم تنطفئ بعد حين . إنما كانت شيئاً أكثر من ذلك . كانت أشبه بالعمل التجاري الذي يطرد في نموه ويعود على صاحبه بالربح الوافر .

ومن أجل هذا أخذ الشباب من الكتاب يحذون حذو أوزبورن طمعاً في الشهرة والمال . لأن نجاح المسرحية لا يقاس فقط بالالتقان الفني ، وإنما يقاس أيضاً بمقدار ما تعود به من كسب مادي على كل مشغل بها .

ذلك لأن المسرحية تحتاج بجانب المؤلف إلى عدد كبير من الفنيين الذين يشتغلون بالانتاج والإدارة والإخراج والديكور وبغير ذلك من مستلزمات المسرح . وذلك يتطلب نفقات باهظة لا بد أن يقابلها إقبال من المشاهدين لسد هذه النفقات .

ولم تبلغ المسرحيات الجديدة كلها بطبيعة الحال حد الالتقان ، غير أن المسارح أغرقت بالعدد العديد منها .

وأهم ما تميزت به استقلالها التام عن الأنماط القديمة ، بحيث لم تعد تخضع لقاعدة معينة ، أو لشكل معين فهي متنوعة في طريقة الحبك وفي أسلوبها وعرضها للحوادث .

ومن ثم فنحن لانستطيع أن نقول إن مدرسة جديدة في فن المسرحية قد ظهرت ، أو أن أوزبورن قد خط مذهباً جديداً للدراما ، أو أن الكتاب المحدثين قد تأثروا بكتاب وطني أو أجنبي معين . بل إن الكاتب الواحد كثيراً ما يتحول من طريقة إلى أخرى فيما بين المسرحية والمسرحية .

لم تكن هناك حركة معينة لها مؤيدوها ودعاتها . وإنما كان هناك تحرر مطلق من كل قيد . ولعل ما يلفت النظر أن أكثر كتاب المسرحية الجدد من العمال أو من أبناء العمال .

وذلك لأن مسارح لندن كانت تتركز في الحى الغربى منها - وهو الحى الراقى - فكان لا يرتادها إلا الطبقة الراقية ، أو الطبقة الوسطى . ومن ثم كان الكتاب الذين يشبعون أذواقهم ينشأون من بين خريجي الجامعات . أما في السنوات العشر الأخيرة ، فقد أقيم كثير من المسارح في الحى الشرقى من لندن - حى العمال - وحى الفقراء . فنشأ من بينهم من يمدحهم بالمسرحيات التى تتفق وأذواقهم . فكان المسرحيون الجدد جميعاً من أبناء الطبقة العاملة مع استثناء جون آردن وجون مورتيمر ، وهما من الجامعيين . وانبج بعض الممثلين إلى التأليف لأنهم أعرف بأذواق الجماهير .

ومن النقد من يقسم كتاب المسرحية إلى واقعيين وغير واقعيين ، أو إلى اتباع بريخت واتباع ايونسكو . غير أنى أرى في ذلك تجاوزاً للحقيقة ، وطغياناً على الشخصيات الجديدة الناشئة ومحاولة لإيجاد أوجه الشبه بينهم . في حين أن أوجه الخلاف هي السمة الظاهرة فيهم .

ومهما يكن من أمر فقد كان في كل عام منذ ١٩٥٦ يبرز كاتب من بين الكتاب المسرحيين وتعلو قامته عليهم . فكان أوزبورن في ١٩٥٦ ، وبرندن بيهان في عام ١٩٥٧ ، وشيلا ديلانى في ١٩٥٨ ، وآرنولد وسكر في عام ١٩٥٩



وقد كان هؤلاء يجلبون إلى مسارح لندن وإلى أضواء المدينة الكبرى ما كان يلاقى نجاحاً في المدن الصغرى وفي الريف .

وإلى جانب هؤلاء وجدت طائفة أخرى اتجهت نحو التلفزيون ، ومنهم كلايف اكستن وآلن أوين الذي بدأ في الإذاعة ثم انتقل إلى التلفزيون ، وأخيراً إلى المسرح وكان منهم أيضاً هارولد بنتر .

وفي عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ لعب ( نادي الفنون المسرحية ) دوراً هاماً في الإحياء ، فظهر عن طريقه وبتشجيعه من الكتاب ردكن وفرد واطسون وميشيل كودرون . وقد أخرجوا مسرحيات شكسبير أخرجاً جديداً .

ولم يحصر هؤلاء مجاهلهم في المسرح ، بل اتخذوا إلى جانبه الإذاعة والتلفزيون والسينما مجالا لعرض نشاطهم الفني .

\* \* \*

ولكننا إذا كنا نحدد تطور المسرح الحديث في بريطانيا بعام ١٩٥٦ فلا بد أن ننظر قليلاً إلى الوراء لنرى الخطوات التي خطاها حتى بلغ هذه المرحلة . فإن الثورة التي تشتعل نيرانها بين يوم وليلة لا بد لها من أسباب سابقة تدعو إلى تفجيرها .

من هذه الأسباب ظهور مسرحية ( في انتظار جودو ) لايونسكو في مسارح لندن في عام ١٩٥١ . ومنها تدفق المسرحيات الأمريكية الجديدة على بريطانيا ، ومحاولات أخرى بأقلام إنجليزية لتأليف مسرحيات جديدة ، أو لإحياء شكسبير . ومنها أيضاً الجهود التي بذلت . س . اليوت وكريستوفر فراي لإحياء المسرحية الشعرية قبل عام ١٩٥٠ . ومنها مسرحية جريهام جرين التي أخرجها في عام ١٩٥٣ وعنوانها « حجرة الجلوس » ومسرحيتا هنتر « مياه القمر » و « يوم في عرض البحر » .

ولا ننسى في هذا الصدد أيضاً جهود الممثلين الذين تنبهوا إلى أن يقفوا في ادوارهم مواقف طبيعية بعد ما كانوا يميلون إلى المبالغة في الحركات وارتفاع الصوت .

غير أن هذه المحاولات - مهما تكن - كانت يسيرة محدودة . وقد اجتذبت الإذاعة كثيراً من الكتاب فلم يكن لهم أثر على المسرح . ولم تظهر في المسرح الإنجليزى حركة تجديد وتطور مثلما حدث في فرنسا وفي أمريكا .

ولعل من الاتجاهات الجديدة التى نلمسها فى بعض ما استجد من مسرحيات تأثرها بالمذاهب الجديدة كمذهب السير يالزم ومذهب اللامعقول .

ومن كتاب هذه الفترة الذين مهدوا للمسرح الجديد دنيس كانان وجون هوايتنج مؤلف هذه المسرحية « الشياطين » التى نقلها لقراء العربية فى هذه السلسلة . .

ولد جون هوايتنج فى عام ١٩١٧ وتوفى عن خمسة وأربعين عاماً سنة ١٩٦٣ . وقد لفت إليه الأنظار منذ أول ظهوره لأنه كان مجدداً إلى درجة الإغراق . ثم اختفى فترة من الزمان مغموراً ليعود مرة أخرى بمسرحيته « الشياطين » التى نالت من الجمهور إعجاباً شديداً . وقد بدأ حياته ممثلاً كغيره من بعض الكتاب المحدثين . وأول ما كتب « شروط الاتفاق » التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة . ثم أخرج التليفزيون له « جولة فى الصحراء » . وقد دهش لها النقاد حتى قال أحدهم « ماذا يصنع هذا الرجل . أنه فوق الأربعين من عمره ، ولكنه يكتب وكأنه فى الثامنة والعشرين » . وأجابه هوايتنج بقوله « حقاً ما تقول . فإننى قد تغيرت كثيراً ، ولكن شيئاً أساسياً فى نفسى لا يزال كما كنت أيام الشباب » . ومن مسرحياته أيضاً « يوم القديسه » و « ادفع بنسا لتسمع الأغنية » وهى كوميدية فى نثر شعرى .

وفيهما يعده بعض النقاد من تلاميذ فراى الذى بعث المسرحية الشعرية فى العهد الأخير . وتجربى حوادث هذه المسرحية إبان حروب نابليون ، وأهم ما تحويه حوار بين رجل متأمر وعامل من عمال المطافىء . وقد ظهرت على المسرح فى عام ١٩٥١ ، ولفتت إليها أنظار النقاد بالرغم من أنها لم تنجح نجاحاً كبيراً لدى الجمهور ، ولم تعد على كاتبها بربح يذكر . وفى مباراة أدبية نظمها مجلس الفنون فازت مسرحية « يوم القديسة » وظفر بالجائزة الأولى عليها .

وقد أثارت هذه المسرحية ضجة فى الأوساط الفنية ، وانقسم النقاد بين محبذ ومعارض . ولكنها — على أية حال — كانت ذات طابع جديد ، وموضوعها هو الموضوع الذى يستهوى هوايتنج دائماً : تحطيم النفس أو افناء الذات . هى قصة كاتب مسن يتتابه شعور بأن الناس يتآمرون على قتله فى الخفاء وتنتهى بمماته . والحوار مشحون بالإشارات الأدبية والتلميحات الفلسفية . والحكاية معقدة فيها جانب من اللامعقول . ولكنها مثيرة متدفقة ، تدفع المشاهد معها إذا لم يتوقف ليتساءل ما هو الهدف .

وكتب بعد ذلك مسرحية « نسياء المشاه » فى عام ١٩٥٤ وموضوعها كذلك افناء الذات . وهى قصة قائد جيش يخبر بين أن ينتحر أو يحاكم محاكمة علنية ويشهرّ به . ولما كان هذا القائد يشعر أنه ليس فى الحياة ما يعيش من أجله أقدم على الانتحار . وفى هذه اللحظة تجذبه إليها فتاة حسناء فتعيد إليه الرغبة فى الحياة . فتردد فى اختيار العيش مهما كلفه الثمن غالباً . وأراد أن يصل فى ذلك إلى قرار حاسم ، فغاص فى أعماق نفسه يتبين ما تنطوى عليه من دوافع ومن اعتزاز . وعاد بذاكرته إلى ماضيه فتذكر أنه كان يقاتل ذات معركة وكان لا بد له فيها أن يتخلل بدباباته مجموعة من الأطفال ، فغلبت عليه إنسانيته وتخاذل فى الهجوم فخسر المعركة وخسر شرفه الحربى . وكشفت له هذه



الواقعة أن بكبرياته ثغرة ، فأثر لنفسه الموت وانتحر وهو دأىء النفس.  
مطمئن الضمير .

وقد نجحت المسرحية في تمثيلها ، بالرغم من أن الحركة فيها باطنه ،  
والعمل ليس مما يخرج عن نطاق الفرد ، أى أنها على حد تعبيره « تتعارض مع  
المسرحية » . وهى — برغم امتيازها — فائده لا حياة فيها . كما كانت مسرحية  
« يوم القديسة » مغرقة فى الإشارات الأدبية والفلسفية كما ذكرنا ، ومسرحية  
« ادفع بنساً لتسمع الأغنية » تعوزها الحوافز ودفعة الحياة برغم جدتها  
وسحرها الفاتن ... أى أن هذه المسرحيات كانت فى كلمة موجزة لا تسر  
إلا نقرأ قليلاً أعد إعداداً فنياً معيناً ولا تكتسح الجمهور العادى الذى لم يدرب  
تدريباً فنياً خاصاً .

فلما كان هو ينتج على المسرح إلى الانخفاق أقرب منه إلى النجاح اختفى  
عن الأنظار سبعة أعوام . قضاه فى كتابة الحوار للأفلام السينمائية ، وكوميديية  
مريرة عنوانها « أبواب الصيف » طافت فى الأقاليم ولم تبلغ العاصمة ، وتمثيلية  
قصيرة قليلة الأثر قدمها للتلفزيون تحت عنوان « شاهد عيان » . ثم عاوده  
الحنين إلى المسرح فجرب قلمه من جديد فى عام ١٩٦١ فى كتابة مسرحية  
جديدة ، وهى « الشياطين » هذه التى نحن بصدددها . وقد استمد موضوعها  
من كتاب « شياطين لودان » . لاولدس هكسلى الكاتب الانجليزى المعاصر  
المشهور .

وفى هذه المسرحية نلمس نفس الصفات التى تميزت بها مسرحية « نشيد  
المشاة » — مهارة فائقة فى جمع المادة ، وذكاء خارق فى تحليلها ، وتجديد فى  
الاصطلاحات المسرحية ، وتذوق رائع للحوار البليغ لا يخون المؤلف قط  
( كما خان برناردشو فى موقف مشابه فى « القديسة جون » حينما كان الموقف

يتطلب اعتراً فاعاً عاطفياً قوياً حاراً بالآيمان بالله يستند إلى الوجدان ولا يستند إلى الدليل العقلى كما فعل شو) .

و موضوع هذه المسرحية — مرة أخرى — هو إفناء الذات ، ومن ثم فقد وجد هوايتنج نفسه مضطراً إلى التحوير فى أهمية شخصيات الكتاب الذى نقل عنه الموضوع ، فأسند البطولة إلى قسيس فى لودان . وهى مسندة إر رئيسة راهبات الدير فى كتاب هكسلى .

وأعجب الجمهور بمشاهدة المسرحية ، وعدّها النقاد تحفة فنية من تحف العصر الذى نعيش فيه واسترد بها الكاتب كرامته الأدبية .

وأخرج بعد ذلك مسرحية أخرى تحت عنوان « بغير سبب » وموضوعها أيضاً إفناء الذات . إذ نشاهد فيها طفلاً يقبل على الانتحار ؛

ومن المؤسف حقاً أن هوايتنج الذى بشر بالمسرح الحديدى فى بريطانيا لم يعيش طويلاً ليعاى موجة انتصار الاتجاه الحديدى .

\* \* \*

على هذه الصورة كان المسرح فى بريطانيا فيما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٦ عندما ظهرت مسرحية « انظر إلى الراء غاضباً » لأوزبورن . وكان التليفزيون منافساً قوياً ، والإذاعة تغنى عن المسرح ، وبخاصة ما يذاع فى البرنامج الثالث الذى برز فيه هنرى ريد وجايلز كوبر .

وكاد هواة المسرح أن يفقدوا الأمل فى إحيائه حتى كان عام ١٩٥٦ ، وكانت الثورة التى لازلنا حتى اليوم فى إثرها والتى انتقل صدها إلى الجمهورية العربية المتحدة .

\* \* \*

وأعود إلى مسرحية « الشياطين » فأقول إنها مسرحية تقوم على أساس تاريخي ، وتعود في مناظرها إلى القرن السابع عشر ، وما كان يسوده من معتقدات دينية وأنظمة سياسية .

تجرى حوادثها في فرنسا حينما كان الملك لويس الثالث عشر يريد — بمشورة الكاردينال ريشيليو وبايعاز منه — أن يسط نفوذه كاملاً على فرنسا كلها ، فيدك حصون المقاطعات ويقضي على سلطة حكامها المحليين ليخضعوا جميعاً لفرنسا الموحدة . وفي المسرحية مناظر كثيرة مما كان يُثار حول هذه السياسة من جدل .

وهي تروى قصة قسيس عاش في ذلك القرن لا يطمئن إلى السائد من المعتقدات ، فأخذ يبحث عن الله بكافة الوسائل بغية الاتصال به والاتحاد معه . وظن أول الأمر أن الاتصال بالله لا يكون إلا عن طريق محبة الناس . والمحبة أحر ما تكون بين الجنسين ، فعاشر النسوة راهبات وغير راهبات واتصل ببعضهن اتصالاً جنسياً مما لا يتفق والوظيفة الدينية التي يشغلها . واسترسل في الشهوات لا طمعاً فيها ولكن تعبيراً بها عن شدة العطف والمحبة . أو كما يقول في بداية الفصل الثاني :

« أملا في أن أصل إلى الله عن طريق مخلوق . الأمل في أن الطريق — التي يسير المرء فيها وحيداً فتكون طريق اليأس — يمكن أن تضاء بحب امرأة . ولقد آمنت بأنه يمكنني بهذا العمل اليسير الذي ألزمت به نفسي ( يقصد اتصاله بفتاة ) ، والذي قمت به من كل قلبي ، أن أصل إلى الله عن طريق السعادة » .

الحب عنده لون من ألوان النشاط الإنساني التي يمارسها لهدف نهائي واحد هو صلته بالله .



« كل أمور الدنيا لها غرض واحد لرجل مثلى . السياسة والسلطة ،  
والحواس ، والثراء ، والفخر ، والنفوذ . إننى انتقى منها بنفس العناية  
التي تنتقى انت بها ياسيدى ( مخاطباً حاكم المدينة ) سلاحك . ولكن  
هدفى مختلف . أننى أريد أن أصوبه إلى نفسى » .  
الله عنده يشمل كل شيء . استمع إليه يقول .

« صورته ( أى الله ) من النور ومن الهواء . من تراب الطريق . من  
عرق يدي ومن القدارة . ومن ذكرى وجوه النساء . من الأنهار العظيمة ،  
من الأطفال ، من عميل الإنسان ، من الماضي ، من الحاضر ، من المستقبل .  
ومن المجهول . صورته من الخوف ومن اليأس . وجمعت كل شيء من  
هذا العمل العظيم ، كل ما عرفت ، وما رأيت ، وما رست . ذنوبى ،  
ومزاعمى ، وغرورى ، ومحبتى ، وكراهيتى وشهوئى . وأخيراً وهبت  
نفسى . وهكذا صورت الله لنفسى ، وكان عظيماً لأنه كل هذه الأشياء » .  
والإنسان يذنب والله يعفو . وهذه هى الحكمة فى وجود خالق ومخلوق .

« أنا ابنه . هذا حق . وليقبلنى كما أنا . وإذن فهناك مغزى . هناك  
مغزى على أية حال . أنا رجل مذنب ومن الممكن قبولى . لست لا شيء  
متجهاً نحو لا شيء . إنما هو ذنب يتجه نحو العفو . إنه مخلوق بشرى  
يتجه نحو المحبة » .

ول يذكر القارئ أن الإنسان الساذج الذى يحيا حياة طبيعية لا يرى فى  
الاتصال بالجنس الآخر أثماً . تقول فيليب الفتاة التى غرر بها وقادها إلى  
الفسق معه :

« إننى فتاة ساذجة ، أرى العالم وأرى نفسى كما تعلمت . أنا ممعنة  
فى الأثم ولكن حب الله لم يتخل عني . يقول الناس إن من يكون فى مثل

موقفنا عليه أن يقابل ربه . واعتقد في صدق ذلك . ولن أخشى أن أبوح  
بما في نفسي لله وأنت بجانبى ( تخاطب جراندير القسيس ) ، حتى في  
حالة ارتكابنا الخطيئة . لأننى أعتقد أن الله طيب ، حكيم ، رءوف دائماً .  
غير أن السلطات الحاكمة في فرنسا في ذلك الحين ورجال الدين المعتقدين  
فى الله اعتقاداً سطحيّاً اساءوا فهم الرجل ، فقدموه إلى المحاكمة ، وطلبوا  
إليه أن يعترف بما اقترف من آثام ، فأصر على الإنكار وصدر فيه الحكم بالموت  
حرقاً . وفى أثناء المحاكمة تتمثل لنا فى صورة قوية شخصية الرجل المؤمن فى  
عناد ، المدرب على التفكير المستقيم .

ونشهد فى المسرحية منظرأ مؤثراً جداً من صلابة الرجل وإصراره على  
عدم الاعتراف بالذنب ورفضه التوقيع على وثيقة الاتهام .  
وأخيراً ينفذ فيه حكم الإحراق ويتبدد جسمه وتتناثر أشلاؤه فى الهواء  
شذراً مذبذباً ، ويتهاافت الناس على بقايا من الجسم المحترق يحتفظون بها للتبرك ،  
وهكذا يموت الرجل شهيداً فى سبيل الله .

ويسأل عامل من عمال المجارى رئيسة الراهبات التى كانت تهذى بجراندير  
فى حياته وتكبت فى نفسها رغبة عارمة فى الاتصال به . يسألها متهمكاً وقد  
أمسك فى يده بعظمة محترقة . —  
« هل تريدونها لأمر ما ؟ »

فتهز رأسها ، وتصيح : جراندير .. جراندير .. ( وهو اسم القسيس )  
فى نهاية المسرحية ..

ويصور الكاتب العقيدة فى الخرافة التى كانت شائعة فى القرن السابع عشر  
حتى بين الكهان ورجال الدين ، لكى يرسم لنا للقداسة صورة ليست مطهرة  
كل التطهير . وفى يأس من صلاح الدنيا حتى بعد ما يُبدل فى سبيل ذلك من

تضحيات وأرواح ، يقول الكاتب على لسان أحد الأساقفة بعد احراق جراندير .

« نعم لقد قهرنا الشيطان ، وبسطنا السلام في هذا المكان . ونحن نتق أنه حتى في هذه اللحظة يعود متسللا . آه ، يا أصدقائي الأعزاء إن أمثالنا من الرجال لن يتبطل عن العمل قط ( وقصد بالعمل إخراج الشياطين من المتلبسين بها ) . »

ذلك لأن الاتصال بين الرجل والمرأة أمر طبيعي ، ولا يمكن ان يزول من الأذهان مهما تصوف الرجل أو ترهبت المرأة .

يجب أن نفهم مسرحية « الشياطين » إذن على أنها قصة رجل من رجال الدين ، اسمه جراندير يبحث عن الله . بالحمية ، وبالفكر ، وبالاستشهاد .

ومن سخرية الدنيا أن نرى في هذه المسرحية هذا الرجل — بعد ما أدرك أن الله موجود في كل الوجود ، وبعد ما زالت من نفسه الشكوك وتبددت الأوهام — مقبلا على الكنيسة يصلي فيها ويتعبد ، وإذا برجال الحكم ورجال الدين الذين لا يعرفون الدين على حقيقته يمنعون من دخولها ويحرمون عليه ارتياد بيوت الله .

و « الشياطين » عنوان صادق للمسرحية ، لأن المسيحيين في القرن السابع عشر في أوروبا لم يكونوا يعتقدون أنها مبعث الشر فحسب ، بل يؤمنون بأنها تدخل فعلا في النفوس ، وتستقر في البواطن ، ويمكن بطقوس دينية معينة وبشيء من التعذيب إخراج هذه الشياطين من نفوس المتلبسين بها . . والشيطان يخرج من أى عضو من أعضاء جسم المتلبس به ، فيتطهر . يخرج من عينه ، أو من كتفه ، أو من ضلعه . ويتكلم عن لسانه . وأكثر ما تتم طقوس الإخراج باللاتينية . وذلك من واجبات رجال الدين . وفي المسرحية شخصيتان بارزتان . أما الأولى فهي شخصية القسيس



جراندير . وهو في هذه المسرحية بطل القصة . وأما الثانية فهي شخصية الأم جان ديزانج رئيسة الدير ، التي كانت تكن في صدرها حباً مكبوتاً للرجل ، وإعجاباً به . ولكم قاست من آلام نفسية مبرحة بسبب الشهوة المكبوتة . وقد أرادت أن تنفس عما يضطرم في نفسها فعرضت على الرجل أن يكون مديراً لديرها ، ولكنه تأبى نظراً لكثرة ماله من أعمال أخرى . وهي لاتكاد تتحدث في موضوع إلا ورد ذكر اسمه على لسانها ، تهذي به في صحتها وفي غفلتها ، إذا تحدثت بصوتها ، أو تحدث الشيطان على لسانها .. جراندير .. جراندير ..

ويرى أحد النقاد أن هوايتنج أخطأ في اختيار جراندير بطلاً للمسرحية إذ أن هذه الراهبة كانت أشد منه معاناة وأكثر مكابدة . كما يرى أن تصوير الكاتب لتزعات الراهبات فيه مبالغة في التبسيط ، فهو يعرضهن نساء مخادعات ، متلبسات بتزعات الشيطان ، ميالات إلى الفسق والفجور عن وعي وإدراك . في حين أنهن في الأصل مصابات بالنورستانيا وخداع النفس . وإذن فالصورة التي يرسمها الكاتب لهن لا تتفق والواقع التاريخي . ولعل هذا التحوير في رسم الشخصيات يجعل الموضوع أقل تشويقاً منه في حقيقة الأمر .

ولما كشف أمر جان ديزانج اتخذ معها الاساقفة مختلف الوسائل لإخراج الشياطين الكامنة في نفسها ، والتي تستأثر بتفكيرها حتى أثناء أداؤها للصلاة . وكثيراً ما صور لها الوهم أنها في أحضان جراندير ترتكب معه الفاحشه . فافقدتها هذه الأوهام طهارتها .

» إنه في باطنى هنا . كالطفل . أنه لم يكشف لي قط أى نوع من أنواع الرجال هو . عرفته جميلاً . وقال الكثيرون عنه إنه بارع ، وقال

كثيرون آخرون إنه شرير . ولكن برغم كل قسوته على روحى وبدنى لم يأت إلى قط بغير المحبة . كلا . دعنى أعبر عما فى نفسى . أقول إنه فى باطنى . أنا فى قبضة الشيطان . ولكنه ساكن ، يرقد تحت قلبى ، ويعيش فى أنفاسى وفى دمى . وهو يخيفنى . أخاف أن أكون قد ارتكبت أجسم الأخطاء فى هذا الأمر .

وفى براعة فائقة يصور الكاتب هذه الأوهام ، حتى إنها لتختلط بالحقيقة . ويكاد القارئ ألا يلمس فارقاً بين الواقع والخيال أو بين الوهم والحقيقة . وبالفعل كانت الكنيسة فى تلك الأيام تحاسب الناس — والرهبان والراهبات منهم خاصة — لا على أفعالهم فحسب ، ولكن على ما يدور بخلداهم كذلك . على نواياهم ، وما تعتلج به نفوسهم . حتى إذا لم يخرج عملاً ملموساً .

وتصور الام جان اغراء الشيطان لها وامتراج الخيال بالواقع حينما تقول : — « تصور معبدنا الصغير ، على بساطته وخلوه من الزينة . لقد كان فى تلك الليلة مكانا للترف والحرارة المعطرة . دعنى اخبركم . لقد امتلأ بالضحك والموسيقى . وكان فيه الخمل ، والحرير ، والمعادن . وخشب ارضه لم يكن ممسوحا . لم يكن البتة نظيفا . نعم . وكان هناك طعام لحم حيوان عظيم ، ونبيد ثقيل ، كفاكهة الشرق . وكنت قرأت عن كل ذلك وقد اتخمننا انفسنا الى درجة قصوى »

.....

« لقد نسيت . كنا فى ازياء جميلة . وكان ردائى على كأنه جزء من جسدى . واخيرا لما تعريت وقعت بين الاشواك . نعم ، كانت الاشواك منتشرة فوق الارض . ووقعت بينها ..... »

.....

« وهكذا قهرنا الله من عقر داره . وفر مفزوعا من الاحساسات الى اودعتها في الرجال يد اخرى . ولما تحررنا منه احتفلنا برحيله مرة بعد اخرى ... ان الله — بالنسبة الى شخص — عرفت ما عرفت — قد انتهى . وقد وجدت راحة النفس » .

ومن عجب ان كبار الاساقفة كانوا يحبون ان تبقى العقيدة في التلبس بالشياطين ثابتة قوية لا تتزعزع . لان ذلك يجعل لهم بين الناس ضرورة وأهمية . فهم الذين يستطيعون بطقوسهم وصلواتهم ودعواتهم ان يطردوها . اما اذا كان الفسق حقيقة واقعة ، وليس وهما من اوهام الشيطان ، فإنه يعد جريمة يعاقب عليها القانون . فيكون النفوذ لرجال الشرطة ورجال القضاء ، ويضعف سلطان رجال الدين ، ومن ثم كان ذلك التنافر بين رجال الدين ورجال الحكم ، بين الكنيسة والدولة .

وكما تصور المسرحية شكوك الناس في حكم القانون المدني ، تصور كذلك ارتيابهم في العلم والطب . اذ ان حياة الانسان لا تحكم بقوانين الطبيعة ، بالعقل المنظم ، انما تحكمها الشياطين والارواح واللاعقل . والشيطان سلطان الشر في هذه الدنيا .

وفي سخرية بالغة يرسم الكاتب صورة لتأثير الوهم في عقائد الناس . فبينما كان أحد الاساقفة يقوم باخراج الشيطان من جسد الام جان ، اراد مندوب الملك الذي كان يشهد المنظر ان يهزأ من الاسقف ، فقدم اليه قارورة زعم ان بها دم المسيح ، ولذا مس بها جبين الراهبة رحلت عنها الشياطين . ولما نفذ الاسقف ما اشار به مندوب الملك ، صاحت الراهبة معلنة الخلاص من لبس الشيطان . فلم يعجب لذلك الاسقف ، لان دم المسيح لا بد ان يأتي بالمعجزات . واذا بمندوب الملك يفتح القارورة ويظهر

للاسقف أنها فارغة ، وليس الامر الا وهما من الاوهام .  
والمرحبة في جملتها مصاغة في لغة شعرية ، تعج بالكناية ، وبالرمز ،  
وبالخيال الرائع ، وبالتصوير القوي لحقائق الامور وخفاياها .

ومن امثلة ذلك ما نراه عندما جاء مندوب الملك الى حاكم المدينة يطلب  
اليه ان يدك حصونها اعلانا لخضوعه لملك البلاد ، فلما انصرف المندوب  
قال الحاكم :

الحاكم : انظر اليه يا جراندير

جراندير : رجل صغير الحجم يثير مرآه الضحك

الحاكم : اننا جميعا يا صديقي العزيز خياليون . اننا نتصور ان الذى يغير  
حياتنا رسول مجنح يمتطي جوادا اسود . ولكنه في أكثر الأحيان  
رجل رث ، صغير الحجم ، يتعثر في الطريق .....

\* \* \*

ونستطيع من زاوية اخرى ان نقول ان هذه المسرحية تعالج مشكلة  
الحياة الخاصة للانسان . هل يستطيع المرء ان يحيا حياته الخاصة ، غير متأثر  
بالبيئة الاجتماعية التى يضطرب فيها ؟

لكم يتمنى الانسان ذلك . لكن هيهات . فالانسان حيوان سياسى كما  
قال ارسطو . بمعنى انه انسان اجتماعى ، لا يمكنه ان ينزل وينفرد في حياته .

ولقد زادت هذه الظاهرة في العصر الحاضر ، بزيادة الاتصال بين  
أطراف العالم . فان مايجرى في كوبا او في برلين او فيتنام يؤثر في حياة  
كل فرد في أى صقع من اصقاع العالم .

كانت الأدبية الانجليزية جين أوستن تكتب قصصا تصور فيها حياة  
الناس الخاصة أيام حروب نابليون هون ذكر لهذه الحروب وكأنها عديمة



الاثـر فـى حـياة الأفراد بالرغم من اشتراك الانجليز فى معركة واترلو . وفى وقت كان الغزو يهدد انجلترا فى عام ١٧٤٥ نجد روائيا مثل فيلدنج يكتب قصة وكان البلاد فى أمن وسلام .

هل نستطيع ذلك اليوم ؟ هل يستطيع الكاتب فى الحاضر ان يتجاهل مايجرى فى كل ركن من اركان الدنيا ؟

هذه هى مشكلة جراندير بطل مسرحية «الشياطين» . فهو فى قبضة قوة أعظم منه وأقدر . الحياة الخاصة إذا مستحيلة برغم شغف كل منا بها .

ان جراندير راعى كنيسة القديس بطرس فى لودان فى صراع لا مع الدولة ولكن مع الكنيسة ذاتها . كيف يفر من احكامها وعقائدها ؟ فى شخص هذا الرجل شهوة وهستريا ورغبة فى الخلاص ، فهل تمكن من التعبير عن نفسه ؟ كلا . فقد طارده الكنيسة حتى حكم عليه بالموت حرقا .

وبرغم التنقل السريع فى المسرحية من مشهد الى مشهد ، وسرعة تغيير الاشخاص على خشبة المسرح ، فان المشاهد لا يسعه الا أن يلحظ تقدما فى الموضوع ، واتصالا بين الاجزاء يكون فى النهاية صورة قوية ينطبع بها الدهن ولا يمكن ان تزول .

وتكاد المسرحية ان تكون اعجوبة فى تسلسل حوادثها ومشاهداتها . وكأنها قطعة فنية من الموزايكو ، مهندسة فى تركيبها . او كأنها صورة حية تعرض على خشبة المسرح . وتتخللها نظرات عميقة فى نوازع الانسان الخفية ونواياه .

لقد ادى ضغط المجتمع بجراندير الى الموت . ولعل كاتب المسرحية يريد ان ينبهنا الى شدة هذا الضغط لعلنا ان نحقق منه بعض الشئ . فنحقق لانفسنا جانبا من السعادة .

• • •

وظاهر من مجرى حوادث المسرحية ان الكاتب يائس من خلاص  
الانسان من ورطته . وليس له من سبيل إلا أن يقضى على نفسه بنفسه ،  
ليس من سبيل إلى الخلاص غير الموت والفناء .

جراندير : ..... السياسة ، والسلطة ، والحواس ، والثراء ،  
والفخر والنفوذ ... اسلحة .... اريد ان اصوبها الى نفسي .

الحاكم : لكى تجهز على نفسك ؟

جراندير : فانى فى حاجة شديدة الى الاتحاد بالله . إن العيش قد اعتصر  
منى الحاجة الى الحياة . وقد آلت قدرة الحواس عندى الى  
الانهك المطلق . انما انا رجل ميت مرغم على العيش ....

الحاكم : لست ممن يجادلون بسفسطة ولكن قل لى . إننى أرى أن القضاء  
على النفس بشكل قاطع ظاهر ليس من الامور المحللة . ولكن  
أليس خلق ظروف موتك - وهو مات فعل انت فيما يبدو -  
كذلك من الاثم ؟

جراندير : اترك لى شيئا من الأمل .

وفى موضع آخر تقول جان

« ..... الانسان مخلوق عجيب ، يدعو إلى السخرية . وربما لم يخلق  
إلا من أجل ذلك . شامخ برأسه ، متشبع بعمله ، مما يدعو الى الاستخفاف  
به . مستغرق فى اختراع معبودات زائفة يبرر بها وجوده ، فيصم اذنيه  
عن الضحك . لا يرى بعينه إلا نفسه ، فهو أعمى عن شارات السخرية  
التي يلوّح بها فى وجهه . وهكذا يسير بنخمورا ، أعمى وأصم . خير  
موضوع للتفكه العملى .

وهنا يا اخواتي يجد الأبناء التعسفين من أمثالى مجالا لأداء أدوارهم

إننا لانسخر من أيينا المحبوب في السماء . إننا نحتفظ بضحكاتها نوجهها  
إلى أبنائه التعسفين المذنبين الذين يرتفعون عن مستواهم ، ويعتقدون  
ان لهم هدفا آخر في هذه الدنيا غير الموت .

بعد أوهام السلطة تأتي أوهام الحب . عندما يعجز الانسان عن  
التحطيم يبدأ في العقيدة بأنه يستطيع الخلاص بالتسلل إلى زميل له في  
الإنسانية . وهكذا يخلد نفسه . انه لايفتا يكرر قوله . احبنى . احبنى :  
أعزنى . أحمنى . انقذنى . انه يقول ذلك لزوجته ، وعاهراته وأطفاله ،  
وبعضهم يقول ذلك للجنس البشرى كله . ولا يقولون ذلك لله قط .  
وربما كان هؤلاء أشد من يدعو إلى السخرية ، وأكثر من يستحق  
الازدراء . لانهم لا يدركون مجد الفناء ، هدف الانسان :

#### العزلة والموت ... »

اذن فالفناء عند الكاتب هو طريق الخلاص . ومن ثم فقد لقي القسيس  
جراندير حتفه شهيدا في سبيل الله لكي يتحرر من مأساة الحياة !

\* \* \*

ولا يفوتنى في ختام هذه المقدمة أن أقدم جزيل الشكر للسيد الدكتور  
محمد محمود السلاموني رئيس قسم الدراسات الأوربية القديمة وآدابها بكلية  
الآداب بجامعة القاهرة على معاونته لي في نقل ماورد في المسرحية من نصوص  
لاتينية اثبتها في الهوامش لكي يدرك القارئ فحواها وإن كنت أنصح  
عند التمثيل أن يلتقي الممثلون العبارات اللاتينية بنصها الأصلي لأنها في الأغلب  
تعاويز درج الرهبان على تلاوتها باللاتينية ليكون سحرها أفعال وأثرها أوقع .

والله ولي التوفيق ، ، ،

محمود محمود





# أشخاص المسرحية

Mannoury	مانورى	- جراح
Adam	آدم	- صيدلى
Louis Trincant	لويس ترنسانت	- النائب العام
Phillipe Trincant	فيليب ترنسانت	
Jean D'Armagnac	جان دارميناك	- حاكم لودان
De Carlsay	دى سيزيزاى	- كبير القضاة
A Sewerman	عامل الخبازى	
Urban Grandier	اربان جراندير	- راعى كنيسة القديس بطرس
Ninon	نينون	- أرملة
De La Rochepozay	دى لا روشهوزاى	- اسقف بواتيه
Farther Rangler	الأب رانجير	
Father Barré	الأب بارى	
Sister Jeanne of the Angels	الاخت جان ديزانج	- رئيسة دير القديسة أرسولا

Sister Claire	الأخت كاير
Sister Louise	الأخت لويز
— مندوب الملك الخاص في لودان	دى لوبارد منت
De Laubardmont	
Father Mignon	الأب منيون
Sister Gabrielle	الأخت جبرائيل
Prince Henry De Cond	الأمير هنرى دى كندى
Richelieu	ريشيليو
Louis XIII	لويس الثالث عشر : ملك فرنسا
Bontemps	بنتان : السجان
Father Ambrose	الأب امبروز
A Clerk	كاتب

أهل المدينة ، وقوم من الريف ، ورهبان الفرنسيكان ،  
ورهبان الكرمل ، والجزويت ، والجنند .

\*\*\*

تقع حوادث المسرحية في مدينة لودان وقريبا منها ، وقبل  
منها في باريس ، فيما بين عامي ١٦٢٣ و ١٦٣٤ .

## الفصل الأول

المنظر : طرق لودان

والوقت : بالنهار

وترى جثة مدلاه من مقصلة البلدية .

وعن كذب عامل من عمال المجارى يعمل فى مجرى ضحل .

( والناس يقبلون من كنيسة القديس بطرس . ومن

بينهم آدم الصيدلى ومانورى الجراح )

مانورى : هلا رافقتنى

آدم : بكل ترحيب

مانورى : لاتغمرنى فى ذراعى . انما كان شكلم كأنه آله

آدم : هل تعنى جراندير

مانورى : نعم هو جراندير

آدم : انه ينهض بالارواح

مانورى : هل تظن ذلك ؟ ثم ماذا ؟

آدم : ان بلدا صغيرا كهذا من حسن حظه ان يكون به

مثل هذا الرجل الذى يتعهد الأرواح . ويحى  
إنى أقول ذلك وكأنى أعنى ما أقول !

مانورى : كلا - هناك أشياء وأشياء يا عزيزى آدم

آدم : ماذا تعنى بالأشياء يا مانورى

مانورى : لا تفتح فاك . هناك أشياء تقال ، وأشياء تعمل .

آدم : من القسيس ؟ أجل ، لقد سمعت ذلك

مانورى : عليك أن تشهد بعينيك

(تقبل نينون من الكنيسة . وهى ارملة شابة  
وتسير فى الطريق )

آدم : لقد شهدت بعينى رأسى

مانورى : وكشفتُ عليها طيبا

آدم : هل فعلت ذلك ؟

مانورى : إن الترمل لا يكسب صاحبه هذا الرضى

ولا يجعلها تمشى هذه المشية

آدم : انما تكسبها ذلك الزيارة

مانورى : صدقت

(وهنا يسيران قرب المقصلة )

آدم : عجباً إنه يتدلى



- مانورى : ترى من كان هذا الأحمق ؟
- آدم : لقد علقوه ليلة أمس
- مانورى : ياله من منظر يخطف اللب . ماذا بتى يا آدم ؟
- آدم : لست أفهمك
- مانورى : ماذا بتى بعد هذا أيها الرجل ؟
- آدم : آه .. إن فى رأسك فكرة
- مانورى : بل هل لديه (١) فكرة ؟ هذا هو المهم
- هيا بنا نتناول طعام الغذاء
- (آدم ومانورى ينصرفان ويقبل من الكنيسة
- لويس ترنسانت النائب العام وابنته فيليب)
- ترنسانت : ضمى ذراعيك يابنتى . انك تشبهين الفلاحة فى مشيتك
- فيليب : ومن يرانى ؟
- ترنسانت : العالم يراك . وانى أحب أن يرى فيك سيده محترمة .
- (يقتربان من المقصلة)
- فيليب : هل كان شابا أو شيخا ؟
- ترنسانت : لا تنظرى
- فيليب : انك تريد أن تملأ رأسى بالتجارب الطيبة النافعة ،

---

(١) يشير الى القسيس جراندير بطل المسرحية

باأبت . ولذا فاني أرجوك أن تخبرني . هل يكشف  
الموت عن الوجه القناع في السماء ؟

ترنسانت : هذا سؤال توجهينه الى قسيس  
فيليب : إني آسفة . وإذن فانتحدث في حركة سائق أثناء  
الرقص ، وفي الزواج ، وفي الحب ولا نتحدث  
في الموت . فهو كرية الرائحة . أما الوسادة  
فيفوح منها العطر .

ترنسانت : دعك من هذا الهراء ، وامض في المسير ،  
وتنبهي في خطاك .

( ترنسانت وفيليب ينصرفان . ويخرج جان  
دار منياك حاكم المدينة

وجيوم دي سيريزاي كبير القضاة من الكنيسة  
إلى الطريق العام )

دار منياك : يبدو أن جراندير يؤمن أشد الايمان أن قوى  
الخير — كالحزب السياسي — بحاجة إلى زعيم :

دي سيريزاي : كانت تدور في رأسه أمثال هذه الأمور .

دار منياك : تعني السياسة ؟

مهما يكن من شيء فانه من العجيب أن يصدر  
هذا الاصطلاح عن منبر الكنيسة

دى سىريزاي : وعجيب كذلك أن تصدر عنه النكتة

دار منياك : أجل . لقد لحقنى العار هذا الصباح عندما ضحكت  
ضحكة عالية . وهل هذا اليق بحاكم المدينة من  
التشاوب اثناء الخطبة ، كما كنت أفعل قبل  
قدوم جراندير إلى هنا ؟

دى سىريزاي : هل صرفت العربية ؟

دار منياك : أجل ، فقد أثرت أن نمشي . خبرنى

دى سىريزاي : ماذا تريد ؟

دار منياك : هذه بلدة صغيرة . هل تحتمل قسيسا مثل  
جراندير ؟ هذا الرجل المتكبر -

هل تسلك هذا الطريق ؟

(دار منياك ودى سىريزاي ينصرفان. والجمهور يهتف.  
ولم يعد يخرج أحد من باب الكنيسة . ويظهر  
الأب اربان جراندير راعى كنيسة القديس  
بطرس ، ويخرج إلى الطريق .

ويفرغ عامل المجارى جردلا مليئا بالقاذورات  
فيلوث عبادة القسيس ) .

عامل المجارى : آسف

جراندير : لا عليك

العامل : ولكنى اخطأت . كيف يكون على الزى المقدس  
الارجوانى براز ؟

جراندير : بنى

العامل : إبنى ؟

جراندير : إن ألفاظك تناسب مقامك

العامل : وماذا كنت تقول ؟

جراندير : غير ذلك

العامل : ولكنى ياسيدى رجل . رجل قدر آثم ، وعمل

فى مجارى المدينة . فلماذا تنتظر منى ألفاظا

نقية ؟ غتر أنى أريد أن أرضيك مع هذا . انى

ياسيدى آسف لانى لطخت ردائك بافراز الفقراء .

هل هذا تعبير أفضل ؟

جراندير : (ضاحكا) هذا يكفى

العامل : ما أجمل هذا اليوم . الطقس حار

جراندير : أجل وكيف تحتل العمل هناك ؟

العامل : كنت أشغل فكرى بأمر أرقى

جراندير : يسرنى أن أسمع ذلك . وماذا كانت تلك الأمور ؟

العامل : زوجتى وغداى



جيراندير : لقد فهمت . أما الآن —

العامل : لم تعد بي حاجة . وألفت الرائحة الكريهة .  
ولا يمكن لأحد أن يبلغ الثالثة والأربعين من  
عمره دون أن يحدث له ذلك . ولو كنت رجلاً  
من عامة الناس ياسيدى فربما أمكننى أن أفهمك .  
جيراندير : ولماذا لا تحاول .

العامل : كل امرئ مجرى نفسه . انه يحمل في جوفه  
مجارىه . والمرارىب تجرى خلاله لتلفظ الاقدار .

جيراندير : واكنها تحمل كذلك دم الحياه

العامل : إنها مجرد سباكة . وهى المبادئ الصحية الأولى .  
لا تقاطعنى . ما الذى يسعد الانسان ؟ ان يأكل ،  
ويجعل المجارى تموج . ان يجلس فى الشمس  
ويجعل القمامة تتخمر . ان يعود إلى بيته ويلتمس  
الراحة مع زوجته فى مجارىها . لماذا اذن أشعر  
بالحجل أو بالشذوذ هنا ؟

جيراندير : بهذه الصورة ايس ثمة ما يدعو إلى ذلك . بل  
ربما كانت لك فى هذا العمل متعة

العامل : من الواضح ياسيدى أن إفرازاتك الغالية لن  
تتدفق هنا كما تتساقط من بين أصابع قدمى هذا

المخلوق الضال طوال الليل (١).

- جراندير : لا تسخر من هذا الشيء
- العامل : آسف
- جراندير : لقد كان رجلا . شابا . فى الثامنة عشرة من عمره . وقد أتوا به ليركع على باب الكنيسة فى طريقه إلى هذا المكان ، واعترف لى بخطاياہ .
- العامل : وما هى ؟
- جراندير : كونه حى
- العامل : مدرك
- جراندير : وكان ذلك شيئا إدا . ساقته رجولته إلى قوة الحواس . وبهذه الحواس كان يعبد فتاة شابة ويقدها كل التقديس . وإمکنه أسرع فى التعلم . تعلم ان الذهب وحده هو الذى يحلى الجسم العارى . فسرق .
- العامل : ومن أجل ذلك شتى
- جراندير : لقد اعترف لى وحدى بشيء ما . ولم يرد أن يبلغ صوته الآله . إنما كان رجلا يتحدث إلى رجل . قال لى انه عندما حلّى الفتاة بدا له

---

(١) يشير الى الجنة المدلاة من المقصلة

الذهب بغير لون ، عديم القيمة فوق جسمها  
الذهبي . و كانت تلك توبته . متى ينزلونه من  
فوق المقصلة ؟

العامل : غدا ، في جناح الظلام  
جراندير : أرجو أن تراقب إتمام هذا العمل في شيء من  
الحشمة  
(جراندير ينصرف )

(دي سيريزاي — دار منياك — ترنسانت )

دار منياك : الحياة الريفية يا عزيزي ترنسانت  
ترنسانت : هل تشعران لها اثرا سيئا على فن الشعر ؟  
دار منياك : اسأل دي سيريزاي  
دي سيريزاي : انت باعتبارك النائب العمومي ياترنسانت ، وأنا  
باعتباري قاضيا ، نشأنا ملتصقين بالارض بحكم  
عملنا . ولقد كنت دائما أعد الشعر فنا رفيعا .  
ترنسانت : أوكدك أن الأفكار الصحيحة ترد على خاطري  
أثناء النظم . ان عقلي — ان جاز لي أن أقول  
ذلك — محشو كله بالنبل

دی سیریزای : لماذا لم تطلع جراندير على المجموعة الأخيرة من  
مقطوعاتك الشعرية ؟

ترنسانت : القسيس ؟

دی سیریزای : إن حواسه الدنيوية غاية في النضج باعتباره قسيساً.  
إجمع بعض المختارات وقدمها إليه ، فالرجل من  
العلماء الباحثين .

ترنسانت : حسناً . أنني لا أبغي الثناء ولكنني سوف أفعل  
ما تقول . أجل ( ترنسانت ينصرف )

دارميناك : مسكين ترنسانت . إنه يحب آلهة الشعر ، ولكنها  
للأسف لا تحبه فيما يبدو . أرجو أن يكون  
اقتراحك بشأن جراندير خالياً من نية السوء .

دی سیریزای : خلواً تماماً يا سيدى . إن ترنسانت شأنه شأن أى  
مؤلف . كلما ارتفع مستوى قرائه خف عبء  
الشك على كواهل أصدقائه المقربين .

دارميناك : لقد أتى جراندير لمقابلاتي هذا الصباح . وكنت  
أتناول طعام الافطار في الحديقة ، ولم يكن يعلم  
أن بوسعى مشاهدته وهو يتقدم نحوى . كان  
مكشوف السريرة باسماء . يتنفس الهواء بصورة  
ظاهرة . وقد توقف ليشاهد الطواويس .

ويداعب زهرة وكأنها بين يديه سر المرأة الخفي .  
وأخذ يضاحك ابن البستاني . ثم اعتدل وأصبح  
رجلا آخر ، جلس إلى جوارى ، وتحدث ساعة  
من الزمان . إلى أين يتسلق هذا الرجل الآخر على  
سلم شكوكه وضحكاته ؟

دى سيري زاي : ربما تسنم ذروة مناصب الكنيسة .  
دارمنياك : وما مصير الرجل الذى رأيت فى الحديقة ؟  
( صمت )

( جراندير مع نينون . والسرير غير مرتب :  
وفوق إحدى قوائمه قلنسوه )

نينون : خبرنى  
جراندير : ماذا تريدينى أن أخبرك به ؟ ان الألفاظ ليست  
إلا الأعيب فى موقفنا هذا . لها رنين الموسيقى ،  
وليس لها معنى .

نينون : لا تسخر منى . اننى لا أفهم قط . فاست امرأة  
ذكية .

جراندير : ما أشد تواضعك يا نينون . وذلك من رذائل  
النساء . وهو لا يؤدى إلى نتيجة . عم تسألين ؟



نينون : لماذا تأتي إلى ؟

جراندير : لو كنا في صالونك لكان هذا منك سؤالاً حكيماً .  
أما ونحن ...

نينون : ان بالمدينة فتيات رائعات الجمال .

جراندير : لهن لم يطلبن العزاء في موت باكر لزوج غنى  
يبيع الخمر . ذلك كان الداعي إلى زيارتي الأولى  
لو تذكرين في يوم من أيام الثلاثاء منذ بضعة  
أسابيع . وقد طلبت إليك أن تعتقدى بأن الله  
يحبك ، وأنه يرعاك رعاية أبدية . وأن تعتقدى  
أن السكتة القلبية التي أصابت زوجك وهو يتناول  
العشاء عندما كانت دماؤه تتدفق مع خمره  
الغزيرة ، كانت عملاً من أعمال المحبة . وقلت لك  
إن كل شيء مهمما تعذر ادراكه هو عمل من أعمال  
المحبة . غير أنك لم تستطعي الإيمان بشيء من  
هذا . إن روحك ضيقة كعقلك يانينون . فاجأت  
إلى تصرف إنسانى بحت . فبكيت . ولا بد من  
مسح الدموع وكيف يمكن ذلك بغير تدليل ؟

نينون : في ذلك اليوم لم أر فيك إلا رجلاً . ما هي حقيقة  
الأمر ؟

جراندير : وددت لو أن مثل هذه الكلمات لا تزال قوية  
الأثر في نفسى ( يعطر مندياه )

نينون : إننى لم أر فيك قط إلا رجلاً . فهل تريد أن تكون  
أكثر من ذلك ؟

جراندير : أكثر من ذلك بالتأكيد — أو أقل .

نينون : ولكن كيف تستطيع أن تكون رجلاً من رجال  
الدين دون أن تكون رجلاً ؟

جراندير : انك يا عزيزتى تسألين أسئلة فوق سنك ، وأبعد  
من تجربتك . ان فمك ....

( ناقوس يدق )

نينون : لقد ملكت على نفسى .

جراندير : اذهى الآن لثامى . وقد كنت اليوم حيواناً  
صغيراً طيباً .

فليكن لك فى استرجاع الذكرى راحة وسلاوى .  
واسعدى .

( جراندير ينصرف )

( آدم ومانورى وبينهما مائدة )

مانورى : هذا الرأس البشرى يبعث فى نفسى كثيراً من  
التأمل يا عزيزى آدم .

آدم : هذا موضوع مألوف .

. مانورى : إن كل امرئ يحمل فوق كتفيه رأساً — ليس في ذلك شك — ولكن عندما يقع بين يديّ رأس مفصولاً عن جذعه الغليظ أحس دائماً بسمو في الروح . تصور أن الرأس مقر التفكير .

آدم : فعلاً ، وهذا حق

مانورى : أليس من الجائز أن أجد في أثناء تشرّيح رأس عادى ذات يوم —

آدم : ماذا تجد يا مانورى ؟ لا تردد في إخبارى .

مانورى : قد أقع على المعنى الدقيق للتفكير . أليس من الممكن أن يصل سن مبضعى إلى الجانب المقدس في الإنسان ، فيلقاه تحفوظاً في كيس بالغ في الصغر ؟ لقد حلمت بهذه اللحظة ورأيت بنفسى . أرفعُ هذا الجزء الذى التقطه من الخيخ ، ثم أكون على علم يا آدم .

آدم : ماذا تعلم يا مانورى ؟

مانورى : تعال يا صديقى العزيز . إنما أنا أتكلم بمعنى غاية في الشمول . أعلم — كل شيء . ويتكشف لى — كل شيء .

- آدم : رحماك اللهم .
- مانورى : دعنا نحمل هذا الشيء إلى بيتك . ونقضى المساء فى دراسته .
- ( يتجهان نحو الطريق العام )
- مانورى : إن كل الناس يتحدثون عن علاجك لمرض الحب الذى أصيب به الدوق .
- آدم : نعم ، وأحسب أننا تغلبنا عليه . ولكن لم يمض فى الوقت ما يكفى للتأكد .
- مانورى : مركبك المعدنى . هل يؤثر فى قدرة الرجل ؟
- آدم : تأثيراً بالغاً ولا مناص « للعلم » — كما كنت أقول للدوق متفكهاً — من الاهتمام بالأسباب الأولية . وليس بوسعه أن يلتفت إلى مشاهدة النتائج الهدامة العارضة .
- مانورى : وان يلتفت ، كما نأمل .
- آدم : هل وضعت « السيدة التى لن نسميها » ؟
- مانورى : قبل الأوان . وكان جنينها يدعو إلى العجيب . ولد وعلى رأسه قلنسوة صغيرة .
- آدم : إن ذلك لا يدعو إلى العجب مع هذا اللفظ الشديد حول السائق .

( يبلغان الشارع ويقترّب منهما جراندیر )

- مانوری : أنظر . من القادم ؟
- آدم : قل ان شئت أنه رجل يمثل العالم الذي لا يعجباً بشيء
- جراندیر : عثم مساء ، سيدى الجراح ، وسيدى الصيدلى .
- مانوری : عمت مساء .
- آدم : نعم يا سيدى .
- جراندیر : كان يوماً جميلاً .
- مانوری : نعم
- آدم : أجل
- جراندیر : أما الآن ، فإنها سوف تمطر ، أليس كذلك ؟
- آدم : إن السماء صحو .
- مانوري : حقاً
- جراندیر : ولكن السحب قد تتجمع قبل حلول الليل .
- آدم : فعلاً
- مانوری : فعلاً ، ربما حدث ذلك
- جراندیر : وتظلم كما تعلمان . ما عندك فى هذا الجردل ؟
- مانوری : رأس إنسان .
- جراندیر : هل كان صديقاً ؟



- مانورى : كان مجرمًا :
- آدم : لقد أنزل الجسم من المقصلة في الليلة الماضية .
- جراندير : ( بعد صمت ) لعلهم لم يتناضوا منك ثمنًا غاليًا ،  
لمصلحة « العلم »
- مانورى : دفعت تسعة بنسات .
- جراندير : معقول . وإنها لصفقة . ارني . ليس هذا الحل  
من نوع جيد .
- آدم : صحيح . كنت ومانورى نتحدث عن المأزق  
الذى وقع فيه الإنسان بسبب يتركز في هذا الجزء  
من جسمه .
- جراندير : إني على يقين أنكما ذكرتما أشياء شائعة .
- آدم : ذكر مانورى أن مقر التفكير ينحصر هنا .
- جراندير : ما أصدق ذلك . وكنتَ تستطيع أن تقول ذلك  
يا آدم .
- آدم : لقد قلت .
- جراندير : ولا ينبغي أن نغفل النظر إلى هذا المزيج من  
الحماقة والقداسة عند الإنسان مما لا نذكره  
إلا لغرض اسمى هو نشوته الروحانية .
- آدم : أطلب منك العفو .

جراندير : لك هذا . ولكنى لا يجب أن أبقى هنا أتبادل معكم الآراء العميقة ، مهما اشتد أغراؤكم لى . ولذا استودعتكما الله ياسيدى الجراح ياسيدى الصيدلى ..

( جراندير ينصرف والناقوس يدق )

مانورى : لقد وقعت فى شباكك يا آدم . لا تشغل نفسك قط مع رجل أريب .

آدم : كانت تفوح منه رائحة الأرملة . يا للقذارة .

مانورى : طبعاً . ولقد عادوا من لدنها .

آدم : بعدما أدخل على نفسه البهجة هذا الصباح حينما كانت الفتيات يعترفن له بخطاياهن —

مانورى : بلغ بنفسه ذروتها فى فراش الأرملة عصراً —

آدم : ثم أتى إلينا يتشاءب فى وجوهنا

مانورى : هذا المساء —

آدم : هذا المساء سيقضيه فى بيت عظيم ، عند دارميناء

ودى سيريزاى . يطعم ، ويتسلى ، وتتملقه النساء بضحكاتهن .

مانورى : يا لها من — انى آسف . ماذا كنت تريد أن تقول

آدم : كنت أريد أن أقول يا لها من « حياة »  
 مانورى : وهذا ما كنت أريد أن أقوله .  
 آدم : إننا لا ندعى قط إلى أمثال هذه الأماكن .  
 مانورى : كثيراً ما فكرت فى ذلك .  
 آدم : وكيف تغزى نفسك ؟  
 مانورى : بذكرى أنى رجل شريف أقوم بعمل شريف .  
 آدم : وهل يكفياك هذا ؟  
 مانورى : ماذا تعنى ؟  
 آدم : التقط الرأس وسر معى .  
 ( يسيران فى الطريق ، ويدخلان بيتاً )

( جراندير يدخل الكنيسة ، ويركع عند المذبح ،  
 ويصلى )

جراندير : الهى . إن ابنك المسكين يجب أن يصل إلى نعمائك .  
 اننى أتحدث وفوق كاهلى متاعب خمسة وثلاثين  
 عاماً . وهى أعوام مثقلة بالكبرياء والطموح .  
 بحب النساء وحب النفس . أعوام يلطخ صفوها  
 الترف والزينة . وقت استنفذته فى كونى لا شيء ،  
 فى كونى رجلاً .

انى أسجد لك خاشع القلب ، مهلود القوى .  
وأسألك يا رب أن تنظر إلى بالمحبة . واضرع إليك  
يا الهى أن تستجيب لدعائى . اهدنى الصراط  
المستقيم ، أو أوجد لي مخرجاً .

( صمت )

الهى ، ربى ، الهى . اعف عني . حررنى . هذه  
الحاجات . ارحمنى يا رب ، حررنى . فى الساعة  
الرابعة بعد ظهر الثلاثاء . حررنى يا الهى .

( ينهض ، ويصيح )

Rex tremendae majestatis, qui  
salvandos salvas gratis, salva me,  
salva me, fons pietatis ! (1)

( دى لاروشبوزاى ، أسقف بواتيه ، ورهبان  
من الفرانسيסקان والكرمل )

دى لاروشبوزاى : كنت وحيداً لعدة أيام خلت . ولعلكم تريدون  
أن تعرفوا إن كنت قد بلغت نعمة ربى . ربما كان  
ذلك ، لأننى شديد الألم والنفور من حماقة الإنسان

---

(1) ومعناها بالعربية : ايها الملك ياذا الجبروت ، يامن تنجى بغير رحمتك  
من يستحق النجاة ، نجنى ، نجنى ، يامصدر الرحمة .

وشره . ونسألوننى : هل هذه هى رحمة الله .  
وأجيب . ربما كانت هى رحمته . دعنى أحدثكم  
عن ظروف الوحي .

حبست نفسى فى غرفتى سبعة أيام ، أصوم  
وأصلى ، فرأيت نفسى أداة بسيطة لإرادة الله .  
وشعرت بسعادة ونشوة ونخسوع حتى تمنيت  
ألا أعود إليكم . ودعوت الله أن يصيب  
بدنى بالذبول ، ولا يترك لى إلا صفاء الروح .  
غير أن احساسى بالواجب كأسقف لكم ارغمنى  
على أن أتخلى عن هذه الجنة . فعدت إلى العالم .  
وأراد أحد قساوسة لودان ، واسمه جراندير .  
أن يقابلنى . وهو من أبنائى ، مثلكم جميعاً يا أحبائى  
وأردت أن أمنحه حبي ، لولا أن منديله كان  
معطراً . ولو أن هذا الرجل صفعنى على وجهى  
لكان ذلك أقل إذلالاً لنفسى . إن الصدمة التى  
وقعت على حواسى كانت من الفحش بحيث  
أصابنى الفزع . عطور لرجل مذاق الماء عنده  
كان كالنار ، وصوت الطيور فى البستان كصياح  
من لحقتهم اعنة الله . اننى مكثت . أزيلوا هذه  
الحوائم من أصابعى .



ربما قاباتم وأنتم في طريقكم من الأبرشية  
إلى هذا المكان طفلاً يبسم لكم ، أو اجتذبت  
أنظاركم زهرة ، أو رائحة العشب الحديد على  
جانب الطريق . هل بعثت فيكم هذه الأشياء  
احساساً غير السرور ؟ وربما ضل أحدكم طريقه  
وهدهاه إليه رجل غريب . فهل رأيتم في عمله هذا  
شيئاً غير الشفقة ؟

دعوني أقول لكم هذا . ليست هناك براءة  
اطلاقاً . ارتابوا في الخير الذي يصدر عن الناس ،  
وألفظوا الشفقة .

لأن كل متعة ظاهرة اقرار للذات ، وإقرار الذات  
عند الانسان هو غلبة الشيطان . عندما نشر هذا  
المنديل في وجهي هذا الصباح ، وقعت عيني  
عليه وكأني في رؤيا . رأيته علماً ضخماً يرفرف  
فوق العالم ، تفوح منه الرائحة الكريهة ، ويلف  
كنيستنا المحبوبة ويغمرها بالعار وحب الشهوات .  
انا في خطر .

ابعدوني عن هذا المكان . ابعدوني .

( دى لاروشبوزاى يساق بعيداً . ويبقى الأب  
بارى والأب رانجير وحدهما )

- رانجير : كيف تسير الأمور في ركنك من هذا العالم ؟
- بارى : لاني مشغول جداً .
- رانجير : هل هو معكم ؟
- بارى : بغير انقطاع .
- رانجير : هل نستطيع أن نسميه .
- بارى : إن أردت . انه الشيطان .
- رانجير : وكيف تسير المعركة ؟
- بارى : لن اياس
- رانجير : يبدو عليك الاجهاد .
- بارى : المعركة مستمرة ليلاً ونهاراً .
- رانجير : إن روحك مضيئة .
- بارى : لم تتحطم على أية حال . ولكن شينون لا تظفر الآن بلحظة هدوء . كنت منذ بضعة أيام أقوم بمراسم عقد زواج . وكان كل شيء يسير على ما يرام . كان أمامي زوجان شابان ، جاھلان فيما حسبت . لكنهما طاهران . ولم يدر يخلدى عنهما غير ذلك . وبلغتُ مباركتي لهما ، وكنت على وشك أن أدفع بهما إلى العالم زوجاً وزوجة ، حينما حدث اضطراب عند الباب الغربى . ذلك ان بقرة قد اقتحمت الكنيسة وكانت تحاول أن

تشق طريقها وسط المصلين . وعرفت الحقيقة في  
الحال بطبيعة الأمر .

رانجير : عرفت إنها هو ؟

بارى : افصح يا رانجير ، وسمّه ( ويصيح ) إنه الشيطان !

رانجير : إنك لا تتحدّع قط .

بارى : وقبل أن أستطيع التصرف ، خرج (١) من البقرة

إلى ام العروس ، فارتمت على الأرض في شبه صرع .  
ثم كان اضطراب مريع بطبيعة الحال ، ولكنى  
بدأت في « إخراج الشيطان » في الحال . وهناك  
زوجان لن يتخليا عن حفل زفافهما على عجل .

رانجير : وكيف انتهى الأمر ؟

بارى : صاحت الروح في الكنيسة وكأنها ريح عاتية .

وظهر على جبين الفتاة شيء ياطخه ويشبه الطين  
الأسود . وظننت أنها وقعت ، ولكنى كنت أكثر  
منها علماً بطبيعة الحال . ولم يكن ذلك كل ما  
في الأمر . فقد جاءني الزوج بعد يومين وقال لي  
إنه وجد نفسه عاجز آكل العجز عن أداء واجبه  
الضروري . لقد مسه الشيطان كالعادة كما تعلم .

(١) يشير إلى الشيطان

وقد شرعت أبحث في الأسرة كلها .

رانجير : إن مثل هذا الأمر لا بد أن يأتي بعدد كبير من الناس إلى شينون .

بارى : ألوف من الناس .

رانجير : الناس يزداد اهتمامهم اليوم بالشر .

بارى : لقد عاون ذلك بالتأكيد على زيادة عدد زوار حرم كنيسة بعدما أخذ يهبط بشكل مؤسف .  
انهم يقصدون صورة نوتردام دي ريكفرانس (أو الشفاء) .

رانجير : وانت تعلم بطبيعة الحال كيف حدث ذلك .

بارى : بالتأكيد إنهم جميعاً يؤمنون لودان الآن . إن شخص جراندير هذا ، الذى ازعج الأسقف ، هو المسئول عن هذا . أنه يروج لمركزه بشكل مشين .

رانجير : إن فى اشكال عمل المعجزات طرزاً كما أن لقبعات السيدات طرزها .

بارى : هذا حق . غير أن فى الشر ثباتاً تطمئن له النفس . لا بد لي أن انصرف .

رانجير : لأمر هام ؟

بارى : لا بد لى من زيارة مزرعة . إنهم يقولون إن شيئاً  
يتكلم من خلال الحبل السرى لإحدى الطفلات .  
والطفلة ذاتها الآن تتبادل مع هذا الشيء الحديث .  
وقد قيل لى إن الصوتين قد بثا معاً مذهباً عجيباً  
فى انتهاك حرمة المقدسات .  
( ينصرف رانجير وبارى فى طريقين منفصلين )

( جراندير وحيداً ، ويده بضع صفحات من  
قصائد الشعر ويتقدم إليه ترانسانت )

ترانسانت : فضل منك أن تزورنى يا أبى جراندير .  
جراندير : عفواً لقد عدت ومعى قصائدك .  
ترانسانت : حسناً . إن دارميناك يرى أن أى قصور إنما يعود  
إلى الحياة فى الريف .

جراندير : انك تدون هذه القصائد عند عودتك من مكتبك .  
ترانسانت : كل يوم .

جراندير : وسط روائح الطهو .

ترانسانت : إنها تقذف بى بعيداً .

جراندير : ووسط ضجيج الحياة العائلية .

ترانسانت : إنها تقطع على سلسلة التفكير .



- جراندير : ونذا فمن الطبيعي أن تصلر عنك — هذه
- ترانسانت : خلصنى من شقائى . إنى بحاجة إلى رأى مخلص .
- جراندير : أنت رجل لك مكانتك فى هذ البلد يا ترانسانت .  
والرجال الذين يشغلون المناصب العامة لا يتوقعون  
الانخلاص .
- ترانسانت : حدثنى باعتبارى شاعراً لا باعتبارى نائباً عاماً .
- جراندير : حسناً ان شعرك —  
( فيليب ترانسانت تدخل ) .
- ترانسانت : ما بك ؟
- فيليب : أريد أدواتى للخياطة يا ابت .
- ترانسانت : خذها من فضلك ( إلى جراندير ) هذه كبرى  
بناتى ، فيليب ، ماذا كنت تقول ؟
- جراندير : كنت أهم بالقول أن مبتكراتك — هذه الصفحات —  
لها قيمة كبرى . يبدو أنها ملاحظات أدبية ذات  
طابع غير مألوف .
- ترانسانت : حقاً ؟
- جراندير : ( لفيليب ) .. ألا تظنين ذلك ؟ أننى أتحدث عن  
شعر أليك

ترانسانت : إنها تجهل هذه الأمور كل الجهل . وأنت تعلم  
أنها كأمثالها من الفتيات الصغيرات كل ما يهمن  
الرقص ، والموسيقى ، والضحك . أما الأمور  
الرفيعة فليست لها قيمة .

جراندير : يجب أن تتعلم .  
ترانسانت : يتعذر وجود شخص ملائم في هذه المدينة —  
اللهم إلا —

جراندير : ( إلى فيليب ) هل تتكلمين اللاتينية ؟

فيليب : قليلا

جراندير : لا يكفي

ترانسانت : اللهم إلا —

جراندير : إنها لغة دقيقة تمكنك من التعبير تماماً عما تعنى .  
وهذا نادر في هذه الأيام . ألا توافقينى ؟

فيليب : نعم إنه نادر .

ترانسانت : اللهم الا ان تعهدت أنت أيها الأب جراندير بالتعليم .

جراندير : تعليم ابنتك ؟

ترانسانت : نعم

جراندير : أنا رجل مشغول

ترانسانت : : يوم واحد فقط في الأسبوع . ساعات قلائل في  
تذوق الأمور الرفيعة. ويمكن أن يتم ذلك بالمحادثة.  
وربما بقراءة شعر لاتيى مناسب .

جراندير : حسناً .

ترانسانت : هل يكون ذلك يوم الثلاثاء ؟

جراندير : كلا ليس يوم الثلاثاء . اليوم التالى .

( آدم ومانورى ... يجلسان في الصيدلية تحت  
تمثال محشو ومثانات مدلاه . وينعكس الضوء  
خلال زجاجات تحتوى على مخاوقات مشوهة ) .

آدم : ( يقرأ في كتاب صغير ) في الساعة الخامسة والنصف  
يوم الثلاثاء خرج من بيت الأرملة .

مانورى : الرجل كالآلة ، ولكنه مع ذلك مشوق . هل  
يمكن أن ترتبط الاستجابة الجنسية بالزمن ؟

آدم : في الساعة السابعة والنصف شوهده وهو يتحدث  
علانية مع دارميناك . والموضوع مشكوك فيه ،  
وإن كان جراندير قد شوهده وهو يضحك مرتين  
مستهتراً . وتناول العشاء وحده ، وفي وقت  
متأخر عن العادة ، في التاسعة. وظل الضوء مشتعلًا

في حجرته حتى بعد منتصف الليل .

مانورى : أظن ذلك ممكناً .. إذا قلتُ للمرأة في منتصف  
الخامسة يوم الثلاثاء سوف آتيك لامتعتك ثم—  
واظبت على ذلك بضعة أسابيع لم تعد بي حاجة الى  
ان أقول لها انى سأفعل ذلك. فتوقعها لى يغنى عن  
قولى . يوم الثلاثاء ، في منتصف الخامسة . ثم  
تحدث الظواهر الفسيولوجية المعروفة . ان هذا  
الموضوع يصلح للبحث . لا بد لى أن أفكر .

آدم : ( يقلب صفحة من الكتاب ) اكتشف في الفجر  
جائيا على ركبتيه أمام المذبح . وكان مسترخياً  
طوال الصباح . ثم تناول وجبة في الساعة الثانية  
والربع . تناول قطعاً من الخبز الحلو بالقشدة ثم  
قطعة من الجبن القديم مع النيذ . وفي الساعة  
الثالثة دخل بيت ترانسانت لتعليم ابنته فيليب .

مانورى : ما أشد فطنتك يا آدم ؟

آدم : هل ترانى كذلك الآن ؟

مانورى : لقد نطقت بكلمة « تعليم » بطريقة مصطنعة تدل  
على معنى آخر .

آدم : شكراً لك .

مانورى : ولكن سامحنى يا صديقى العزيز ان انا سألتك

شيئاً ما . كيف نتابع الموضوع ؟ ان ملاحظاتك  
عن تحركات جراندير تدعو إلى العجب . غير  
أن هذه التحركات قد تكون من عادات أى  
رجل . ويستحيل علينا أن ندينه بمثل هذا الدليل .

آدم : اعطنى الوقت يا مانورى . قطعاً إننا لن نكشف

عنه بتتبع عاداته، ولكن الشهوة تشده من أنفه.  
ولا بد للشهوة من شريك . فهل هى الأرملة  
نينون ؟ أم هل هى فيليب ترانسانت ؟ أم هى  
غير هذه وتلك ؟ من يدري ؟ ولكن الوقت آت .  
صبراً .

( الأخت جان دى زانج وحيدة . جائية )

جان : إننى أهب نفسى فى خشوع لخدمتك . لقد خلقتنى

امرأة صغيرة فى تكوينى البدنى وفى روحى .  
وكل ما أملك كذلك خيال ضيق . من أجل هذا  
بحكمتك العظيمة يارب حملتنى هذا العبء  
الناتئ على ظهري يذكركنى يوماً بعد يوم بما ينبغى  
لى حمله . الهى . إنى أجد عسراً فى القلب على  
فراشى . ولذلك فإنى فى ساعات الفجر — ساعات

اليأس — اتذكر ما حملتني — الصليب — على  
الطريق الطويل .

لقد اكسبت حياتي معنى عند تعييني في هذا البيت —  
بيت أرسولين . وسوف أحاول أن أرشد الأخوات  
في هذا المكان . وسوف أؤدي واجبي كما أراه .  
( صمت ) .

الهي . الهي . لقد وجدت مشقة كبرى في الصلاة  
منذ كنت فتاة صغيرة . ولطالما تمنيت أن يكون  
في باطني صوت آخر أعظم من صوتي أحمدك به .  
بنعمتك يا رب أتيت إلى هذا المكان صغيرة .  
اللهم ارحم ابنتك . اللهم ابعث في نفسها الأمل .  
ولكني مع ذلك سوف أكنس البلاط ، وأرتب  
الفراش جيداً ، وأنظف الأعمدة باتقان ( صمت )  
رحمك اللهم ( صمت ) . سوف أجد طريقاً .  
أجل . سوف أجد طريقاً إليك . سوف آتيك .  
وتضمني بين ذراعيك المقدستين . وسوف تسيل  
بيننا الدماء ، فتوحد بيننا . ان طهارتي لك .  
( صمت ) ( في لفظ حاسم ) أتوسل إليك يا الهي  
أن تزيل عني حديتي حتى أستطيع أن استلقي على  
ظهري دون أن يتدلى رأسي ( صمت ) هناك



طريق لا بد لي أن التمسك . اللهم اجعل نور محبتك  
الأبدية..... ( ثم تهمس ) آمين .  
( تنهض الأخت جان ثم تنصرف ) .

( جراندير وفيليب : ترى وهي تقرأ )

Foeda est in coitu et brevis  
voluptas, et taedet  
Vereris statis peractae (1)

فيليب :

جراندير : ترجمي. أولاً بأول ، وسطراً بسطر .

فيليب : المتعة في الحب ...

جراندير : في الشهوة .

فيليب : المتعة في الشهوة فذرة وقصيرة الأمد . والمرض ..

جراندير : الملل

فيليب : والملل يعقب الرغبة .

جراندير : استمرري

non ergo ut pecudes libidinosae caeci protinus ir-  
ruamus illuc (nam languescit amor peritque flam-  
ma).(2) فيليب

(1) معناها بالعربية : ان لذة الجماع الحرام ممقوتة وقصيرة الاجل وان الحب  
الجنسي متى قضى تعافه الشرائع .

(2) معناها بالعربية : ولذلك لاندفع قدما بجهالة الى تلك الوجهة مثل البهائم  
الشهوانية « لان الحب الجنسي يضمحل ويخمد اواره »

(تتوقف)

لسنا كالحيوانات نندفع إليها فإن الحب بذلك  
يموت ، والشعلة تنطفئ .

جراندير : هذه ترجمة ثرية ، وإن تكن صادقة . سلميني  
الكتاب ( يقوم بالترجمة ) .

في وقت الفراغ الدائم

استلق في صمت

وقبل الزمان لمضي

هكذا . هكذا .

فلا ملل ولا خجل ،

في هذه الآونة ، في الحاضر وفي المستقبل

تكون المتعة كلها .

ليست لها نهاية ،

ولأنما هي بداية أبدية .

لماذا تبكين يا بنيتي ؟

فيليب : لم تكن صبحتي جيدة .

جراندير : هل تجدين هذه الدروس القصيرة ثقيلة عليك ؟

فيليب : كلا ، كلا ، لأنني أحب (١) - أني أستمع بها كثيراً .

---

(١) هنا تتلصص الفتاة لأنها تعنى حب جراندير وتتحدث عن متعة الشعر .

جراندير : إننا لم نؤد منها غير ستة . وقد فكرت في استمرارها حتى اواخر العام .

فيليب : بطبيعة الحال . حسبما تريد .

جراندير : حسبما تريدن أنت يا فيليب . إنها لمنفعتك

فيليب : إنني توافقه جداً لكى أفهم كل شىء .

جراندير : كل شىء ؟

فيليب : إن فى باطنى كأمرأة دوافع لأبد لى من ادراكها إن كان لأبد من مقاومتها .

جراندير : أى دوافع يا فيليب ؟

فيليب : ميول —

جراندير : استمرى

فيليب : ميول نحو الخطيئة .

( صمت )

( يقف دارميناك على أعلى قمة من حصون المدينة .

مجلس الولاية منعقد . ترى على البعد أشباح .

لويس الثالث عشر ملك فرنسا وریشيليو )

ریشيليو : الأمر سهل الإدراك يا سيدى . الورقة التى لديك

مقلوبة . إن الحكم الذاتي للمدن الريفية الصغيرة  
في فرنسا لابد أن ينتهى . والخطوة الأولى هى  
هدم جميع أنواع الحصون .

( جراندير يقترب — من أسفل — من دارميناك )

دارميناك : إذن فالدور على هذه المدينة .

جراندير : هل لابد أن ينهار كل شىء ؟

دارميناك : هذا ما يريدون . إنها حيلة بطبيعة الحال . ريشيليو  
يجلس مع الملك في باريس . ويهمس في أذنيه .

ريشيليو : لابد أن تتحرر فرنسا في داخلها ان أرادت أن  
تقرر مصيرها بنفسها .

دارميناك : ان الريفيين الجهال الماكرين من أمثالنا لا تجاوز  
أبصارهم أسوار المدينة . ولذا جاءتنا الأوامر من  
الكردينال لتحطيمها . هل يوسع ذلك من أفق  
أنظارنا ؟

ريشيليو : إن الرجال من أمثال صديقك دارميناك ياسيدى  
قصار النظر . ولاوهم لمدينهم وليس لفرنسا .

جراندير : هل عللوا هذا الأمر ؟

دارميناك : عندما يكون الرجل مشغولاً بالسلطة مثل ريشيليو  
يستطيع أن يبرر أعماله بالسخافات .

ريشيليو : إن أمثال هذه الحصون تهيب الفرص لثورة البروتستانت .

دارميناك : أنظر . أنها مدينة قديمة . إن هذه الأسوار لاتصد تيار الهواء فحسب . وتلك البروج ليست لمجرد الزينة . ومن تلك القلعة كنت أحاول أن أدير مملكتي الصغيرة بحكمة معقولة . لأنى أحب المكان .

جراندير : يجب أن ترفض هدمها . وهل سوف يعارض الأمر حكام آخرون فى الأقاليم .

دارميناك : أشك فى ذلك .

جراندير : وهل سوف نعارض نحن ؟

دارميناك : نحن ؟

جراندير : دعنى أعاونك فى هذا الأمر يا سيدى .

دارميناك : هل أنت جاد ؟ إن إلى جانب الملك فى باريس رجلا من رجال الكنيسة . وأنت باعتبارك رجلا آخر من رجال الكنيسة إلى جوارى هنا هل تريد كذلك أن تستغل هذا الموضوع لأغراضك الخاصة ؟

جراندير : إن الصراع يجذبنى يا سيدى . والمقاومة ملزمة لى .

دارميناك : إنهم يستطيعون تحطيمك .

جراندير : حقاً انى ضعيف . ولكن الصراع لا يكون بين  
قوتين متكافئتين . ان الأمر عندئذ يكون نفيًا .  
يسود السلام . وإذن فلتسمح لى أن أعاونك  
بكل ما لدى من حماسة الفشل .

دارمنياك : لا تبتسم . إنهم يستطيعون تحطيمك .  
( دى لوباردمنت ، مندوب الملك ، يقف أسفل  
ريشيليو والملك

ريشيليو يتحدث إليه ) .  
ريشيليو : إن دارمنياك حاكم لودان قد رفض أن يطيع الأمر .  
إذهب إلى المدينة . وقد أديت لى من قبل خدمات .  
انتظر . هناك رجل اسمه جراندير . إنه قسيس .  
أجل ، هناك رجل يسمى جراندير . أذكر ذلك .  
( دى لوباردمنت ينصرف )

### صوت امرأة مختفية

Lux aeterna luceat eis, Domine, cum Sanctis tuis in  
aeternum, quia pulis est.  
Regulem aeternam dona eis, Domine, et Lux perpe-  
tua luceat eis.(1)

---

(١) ومعناها بالعربية : ليشرق ، ايها الرب ، النور الابدى عليهم فى صحبة  
قديسيك دواما لانك رحيم . وامنحهم الراحة الابدية ، ياربى ، وليشرق  
عليهم النور الابدى .



( الأخت جان ديزانج - الأخت كلير من أتباع  
سنت جون - الأخت لويز من أتباع يسوع -  
الأخت جبرائيل من المؤمنات بالتجسيد - يدخلن )  
جان : كانت خسارتنا فادحة أيتها الأخوات . كان الكاهن  
موسو رجلاً عجوزاً طيباً .

كلير : هي إرادة الله

لويز : إرادة الله

جان : هذا ما تعلمناه . لكن موته - برغم ذلك -  
يخلق لنا مشكلة . فنحن في حاجة الى مدير .  
ومن الحق ان الرجل شغل هذا المنصب بمدارة  
لعدة سنوات . بيد ان حياة الآثمين مستمرة قطعاً .  
ولا بد لنا من معرف للتائبين منهم .

لويز : وهل وقع اختيارك على احد يا امي ؟

جان : الله يختار لنا

كلير : سوف ندعو الله

جان : فلتفعل ذلك . هناك - (تصيحها نوبة سعال) .  
لا تمسوا ظهري . (سكون ، واجهاد) هناك رجل  
اسمه جراندير . انه شاب . لم اره قط ، ولكن  
الله كثيراً ما اودعه افكارى اخيراً . اقصد ...

( صمت )

كلير : ما الامر

جان : كلير ؟

كلير : اذا تحديقن في هكذا ؟ هل قدمت اساءة ؟

جان : (تسرى الفتاة) كلا ، كلا ، اقصد ان اكتب الى

هذا الرجل الطيب واطلب اليه ان يكون مديرا

لنا . جراندير . جراندير . انه الوحي كما تعلمن .

لقد احتل افكارى . جراندير .

كلير : انها ارادة الله

لوير : ارادة الله

جان : (تضحك ضحكا جافا مفاجئا) اننى اكاد اموت

من الاجهاد .

(صمت - فى هدوء) هذا حل رائع عملى . انه

يستطيع ان يرشدنا الى طريقة تربية الاطفال

الذين يوضعون تحت رعايتنا . وسوف يرعى

حاجاتنا الروحانية (تضحك مرة اخرى) .

ويستطيع ان يصنف هذه المشكلات الدينية

المتقدمة اللعينة التى تحيرنى يوما بعد يوم . نعم

انه اختيار موفق . اتركونى وحدى .

(الانخوات ينصرفن - وتنادى جان كلير لكى تعود)

- جان : كلير !  
كلير : نعم  
جان : يقوان ان عينيّ جميلتان . هل هذا صحيح ؟  
كلير : اجل يا امي  
جان : أجمل من أن أغمضها حتى في حالة النوم على  
ما يظهر . انصرفي مع الاخريات  
(جان وحيدته)

جان : كان صباحا صائفا . والاطفال يلعبون . في وقتاة .  
والمراكب الشراعية المصنوعة من الورق تطفو  
فوق البركة . وقد اشرقت الشمس حامية فوق  
الروؤس في ذلك اليوم . وربض الأطفال يحدق  
بعضهم في أعين بعض عبر صفحة الماء . هل  
كان ذلك حبا ؟ صوت ايقاع . انه ضفدع فوق  
الصخر . انه يتق . هذا صبي رأسه مائل إلى جانب  
يبتسم ، وصوت رقيق يهمس فوق الماء . انظري .  
تحدثي إلى أخيك ياجان . هيا بنا يا أخى جرين .  
أقفز . تحدثي اليه يا جان ( تضحك ثم تصمت )

ساعني لضحكى يارب . ولكنك لم تزودنى بقوة  
الدفاع . أليس هذا صحيحا يارب ؟  
( جان تنجه إلى النافذة وتفتحها . وتحقق ببصرها  
خلال النافذة )

( ترى الشارع . ودكانا فى السوق . وترى الناس  
يغدون ويروحون ، يشتررون ويبيعون . وترى  
أطفالا . وتمر عربة نقل . وتسمع أغنية . ويسير  
جراندير وسط الزحام . وهو فى حلته الكهنوية ،  
رائع ، ذهبى اللون فى ضوء النهار الذى أخذ  
فى الزوال . خطوه سريع . واثق من نفسه .  
نشوان .

جان تصيح

ولا يسمع الجمهور صياحها ، غير أن جراندير  
يتوقف عن المسير ويتلفت حواليه ، ويتفحص  
وجوه الماره ، متعجبا أى رجل أو امرأة منهم  
انفعل فصدرت عنه صيحة الألم التى طرقت أذنه  
وسط هذا الاضطراب . ويرى جراندير وهو  
يصعد سلما . وجان تكتب . تخط بسرعة وبحدة  
خطا مزخرفا ) .

(الطريق العام . يرى آدم ومانورى وسط الزحام .  
ثم يتقدمان)

- مانورى : أول ما ينبغي عمله ان نكتب عريضة  
آدم : عريضة اتهام ضد جيراندير  
مانورى : بالضبط . اننا نعرف دعارته  
آدم : بل نجاسته  
مانورى : وقلة ورعه  
آدم : وهل هذا يكفى ؟  
مانورى : لابد أن يكفى  
آدم : مؤقتا  
مانورى : ونقدم الصحيفة للاسقف  
آدم : لابد من إجابة الصياغة  
مانورى : طبعاً . نصوغها في لغة سليمة ، لائقة للتداول —  
آدم : طرأت لي الآن فكرة  
مانورى : ما هي !  
آدم : ما أكثر نقدنا نحن أبناء الطبقة الوسطى ، لا شىء  
إلا لأننا نحب أن نكون المواقف لطيفة مقبولة .  
آسف . استمر . ماذا نقول في العريضة ؟

مانورى : تقول ؟ ( يتوقف ) انما تقرر

آدم : ذلك لا يهم

مانورى : كلا ، بل هى الوسيلة

آدم : يجب أن تكون انغاية نصب أعيننا

مانورى : دائما

( ينصرفان )

( كرسى اعتراف . جراندير وفيليب يتهامسان

أثناء الحديث كله )

جراندير : متى كان آخر اعتراف لك يا بنيتى ؟

فيليب : منذ اسبوع ، يا أبى

جراندير : ماذا تريد ان تبوح لى به ؟

فيليب : أبى لقد ادنبت . وعانيت من الزهو بنفسى

جراندير : يجب أن نكون دائما على حذر

فيليب : بالأمس أكملت بعض أشغال الأبرة ، وكنت بذلك فى نشوة

جراندير : ان الله يسمح لنا بالرضى عن العمل الذى نؤديه

فيليب : وارتكبت الخطأ عن طريق الغضب



- جراندير : خبرينى :
- فيليب : أغاظتنى اختى - وودت لو كانت فى مكان آخر
- جراندير : أنت من ذلك فى حل . هل من شىء آخر  
(صمت) هيا ، غيرك فى الانتظار
- فيليب : ساورتنى شكوك دنسه
- جراندير : ما طبيعتها ؟
- فيليب : عن رجل
- جراندير : بنيتى -
- فيليب : فى الساعات الأولى من الصباح ... وكان فراشى  
حارا إلى درجة الاختناق ... طلبت إليهم أن  
يزيلوا الستائر الخملية .... ان افكارى فاسدة ...  
واكنها مع ذلك رقيقة ... جسدى .... ابى ....  
جسدى .... اردت أن يلامس
- جراندير : وهل حاولت أن تقمعى هذه الأفكار ؟
- فيليب : نعم
- جراندير : وهل تراودك هذه الأفكار ؟
- فيليب : كلا ، فقد دعوت الله
- جراندير : وهل تريد من ذلك الخلاص ؟ (صمت)  
أجيبينى يا بنيتى

غیلیب : کلا . انی آریده ان یاخذنی — بل یمتلكنی —  
بل یهدنی هذا . انی احبك . قصدت ان اقول انی  
احب الله ! احبه !

( ینخرج جراندير من المقصورة . وتعلبه الرأفة .  
وبعد لحظة یزیح الستار وترى فلیب . ویقفان  
وجها لوجه )

(دی لاشبوزای . آدم ومانوری امامه فی خضوع)  
دی لارشبوزای : لقد نظرت فی العریضة الی قدمتها ضد القسیس  
جراندير . إننا نعرف انه رجل خطر لیس عنده  
تقوى أو ورع . منذ بضعة أشهر عانینا بأنفسنا  
الاهانة والذلة بمحضره . غیر أن هذه مسألة  
لا تهم . ماشکواکما ؟

مانوری : نشعر یامولای الأسقف ان جراندير یجب ان  
یحرم من ممارسة اعمال الكهنوت

دی لارشبوزای : ما عملك ؟

مانوری : أنا جراح

دی لارشبوزای : هل یسرك أن اعطیک دروسا فی عملك ؟

مانوری : انی دائماً علی استعداد لأن اتلقى النصیحة

دی لارشبوزای : لا تتكلم كما يتكلم الغافلون . هذه العريضة  
القدرة سيئة العبارة لا تخبرني بشيء لا أعلمه عن  
الرجل . كل ما أجده هنا أنهم غامضة هستيرية  
عن ارامل وحيدات وعذارى عاشقات ولست  
على استعداد لأن أدير شئون هذه الاسقفية على  
مستوى محاكم الشرطة

آدم : ان له أصدقاء أقوياء

دی لارشبوزای : كف عن الهمس . ماذا تقول ؟

آدم : ان جراندير يحميه أصدقاؤه

دی لارشبوزای : ما أسماؤهم

مانورى : (لآدم : ينبهه بوكزة بكوعه) استمر

آدم : دارمنياك ودى سيريزاى وغيرهما

دی لارشبوزای : اننى أقبل نواياكم المعقولة التى ساقتمكم إلى هذا

المكان . وعلم الله - برغم هذا - اننى ان كنت

لا أثق فى أحد فهو المواطن الطيب الذى يتجاوز

واجبه المدينى . ان دوافعه هى فى العادة الحق

أو المال . ولكنى لا أقبل آراءكم أو نصيحتكم

أو حتى محضركم لحظة واحدة بعد هذا .

(آدم ومانورى ينصرفان)

دى'لارشېوزاى : (لمساعده) ان حمايه الكنيسة من المبدأ الديمقراطية  
الذى يبيح لكل فرد أن تكون له كلمة أمر  
حيوى . ربما كان صدقا ما قال هذان الرجلان .  
والكن ينبغى الا يسمح لهما بالظن انهما يؤثران  
فى أحكامنا بأية حال .

(جان وحيدة : بيدها كتاب الصلوات . بالليل .  
تدخل عليها كلير )

كلير : سلمونا هذا عند الباب

(جان تتناول الخطاب من كلير ، وتففضه ،  
ثم تقرأ )

جان : اقدر رفض

كلير : الاب جراندير ؟

جان : ( تقرأ بصوت مرتفع ) أختى العزيزة . يوسفنى  
أشد الأسف أن اجدنى مضطرا الى رفض دعوتك  
لكى أكون مديرا ابنتك . أن ضغط الأعمال  
التي أودها فى المدينة لا يسمح لى بلوقت الذى  
يمكننى من تكريس وقتى لمصلحة اخوتك .  
وانى أقدر أجمل التقدير كل ما ذكرت عن

صفاتي و . . . ( جان تمزق الخطاب من أعلاه  
إلى أسفله وتضمه إلى جسدها )

جان : شكرا لك يا اختي

( كلير تنصرف - جان وحيدة )

جان : ما هذا اللغز المقدس ؟ دعني أرى . ( تضحك )  
كنت على وشك أن اتجه إلى الله في هذا الأمر .  
إنها العادة . هي العادة . غير أن ذلك لا يجدي .  
كلا . لا بد أن اتجه إلى « الرجل » ( ثم تهمس  
باسم « جراندير » ) .

تيقظ (١) . لقد انبثق الفجر على غيرك من قبلك .  
أنظر إلى النافذة الرمادية الصغيرة ثم تقلب .  
إنها ترقد إلى جوارك . وهي في وضع قد يكون  
للصلاة أو للوصال . ومن فمها تفوح رائحة  
النبيد والبحر . وجلدها ناعم كالحرير ، بلله  
العرق . وروائح جسدها الطبيعية قد بددت بالليل  
روائح النهار الطيبة .

( فيليب تشاهد وهي تتبادل الحب عارية مع

---

(١) تخاطب جراندير

جراندير . وهما يريان نـ وضع الملامسة المعروفة  
اثناء الانفعال بالشهوة خلال ما تردد جان من  
كلمات (

جان : انظر اليها (١). ماذا تحس؟ بالاسى؟ لا بدان يكون  
بالاسى . انك رجل وهي الآن تمد ذراعيها فوق  
رأسها . الا تتأثر . ليس هذا من فنون العاهرات  
مهما زعمت . انها ترفع ساقيهما ، وتلفهما ،  
وتضع أصبعها على شفثيك وفمها على أصبعها .  
انها نهمس . لقد تعلمت هذه الكلمات . انها  
تعيد الدرس فقط . هذه القذارة هي الحب عندها.  
والحديث عنه من الايمان . (تضحك ضحكة  
مفاجئة ) ما هذا الذى فعلت . تمد جسدك اكى  
تمسك بالفراش المتساقط . هل تريد ان تغطى  
عريك؟ وهل فى هذا الأمر خجل؟ (صمت ثم  
فى تعجب ) يا للعجب ! وتستطيع كذلك أن  
تضحك؟ ان ذلك امر لم أكن أعرفه . الألم ،  
والنسيان ، وفقدان العقل ، والجنون . هذا  
ما حسبت أن يكون فى فراشك . أما الضحك ...  
انكما تبدوان فى سن الشباب . أهدوء مرة

---

(١) تخاطب جراندير



اخرى ! ان الفتاة ثقيلة على ذراعيك . لقد  
تثاءبت ، وتلقيت رعدة بدنها . انك ترتعد  
رغمًا عندك . أنظر إلى الشمس . انها تبدد الضباب  
في الحقول . وسوف يغمرك النهار . انهل  
ما استطعت . لينهل كلاهما ما استطاعا . الآن .  
(تبكي) هذا الجنون ، هذا التزيق ، هذا اللعيم  
على لوحة الجزار . اين أنت ؟ الحب ؟ الحب ؟  
ماذا تكون ؟ الآن . الآن . الآن .

(جان ترمي على ركبتيها ، متشنجة . وقد  
اختفى عن العيان جراندير وفيليب )

جان : (مختنقة في صوت فتي) يا الهى . هل هذا هو  
الأمر ، هل هذه هي الحكاية ؟

(ظلام)

(دار منياك - دى سيري زاي - دى اوباردمنت)

دى اوباردمنت : ليس الأمر موضوع اتفاق . انما انا هنا ككندوب  
خاص للملك . ولكنى غير مخول للمفاوضة .  
اني آسف يا دار منياك

دار منياك . تعلم يا اوباردمنت ان الرجال الراشدين في هذه

البلاد بدأوا يملون إلى حد ما ظهور اشخاص  
يزعمون حق الأبوة لمصلحتنا كما يقولون . قد  
يُنظر الى فرنسا على انها أشبه بالمرأة تتصف  
بالخضوع ، ولكنها ليست طفلة .

لوباردمنت : انني أميل إلى الاتفاق معك في الرأي . ولكني  
لست هنا للجدل . انما أحمل رسالة .

دار منياك : امراً . دكوا الحصون

لوباردمنت : تلك هي الرسالة . أي رد اعود به ؟

دار منياك : اني ارفض

لوباردمنت : عندي إحساس عجيب

دار منياك : بالخوف ؟

لوباردمنت : كلا ، كلا ، انكم في هذا القرار قد وقعتم تحت  
تأثير . وان وراء عنادك ضغط .

دار منياك : القرار مني وحدي . باعتباري حاكم المدينة  
(جراندير يقترب)

دار منياك : هل تعرف الاب جراندير ؟

لوباردمنت : سمعت عنه

دار منياك : هذا هو

أوباردمنت : (ملتفتا) ايها الأب . ألا تستطيع أن تمد نفوذك  
إلى الحاكم في موضوع ذلك الحصون ؟ وليس  
عندي شك في أنك تريد فض الأمر باعتبارك  
رجلا من رجال السلام .

جراندير : نعم انني أريد ذلك باعتباري من رجال السلام .  
أما باعتباري من رجال المبادئ فاني أؤثر أن  
تبقى اسوار المدينة قائمة .

أوباردمنت : اذن فالظاهر اني أقف وحدي في هذا الموضوع .  
وإذا عدلت عن رأيك — وأنا شديد الرجاء في  
ذلك — فسأعود الى لودان بعد بضعة أيام  
(أوباردمنت ينصرف)

دار منياك : انظر اليه يا جراندير

جراندير : رجل صغير الحجم يثير الضحك

دار منياك : اننا جميعا يا صديقي العزيز خيالون . اننا نتصور

ان الذي يغير حياتنا رسول مجنح يمتطي جوادا  
اسود . ولكنه في أكثر الأحيان رجل رث صغير  
الحجم ، يتعثر في الطريق .

(في الدير . جان والاب منيون . وهو رجل  
عجوز غافل . يسيران معا )

جان : اننا جميعا جدد سعداء أيها الألب منيون لقبولك .

وانا نتطلع إلى أن نراك مديرنا لعدة سنوات مقبلة.

منيون : أنت كريمة جدا يا بنيتي . انك تتصفين بالبساطة

والصراحة اللذين يمسان قلب رجل عجوز مثلي .

جان : المشكلات كثيرة في مكان مثل هذا . وسوف

أحتاج إلى نصيحتك وإرشادك .

منيون : أنا تحت تصرفك دائما .

جان : ان كل الأخوات هنا مثلا شابات . واعتقد

انك توافق على ان الشباب اكثر عرضة للاغراء

من الشيعوخة .

منيون : هذا حق . اذكر عندما كنت شابا —

جان : وأنا نفسي —

منيون : ماذا تريدون أن نقول ؟

جان : كنت أريد أن أقول أني أنا نفسي عانيت منذ

عهد قريب جدا من روى شيطانية .

منيون : ان من يعيش قريبا جداً من الله يقع للشيطان

فريسة بالطبيعة . ونكني لا أنزعج كثيراً بشأنها .

جان : استطيع أن أتحدث عن ذلك نهارة . أما في المساء —

مليون : من الحقائق المعروفة يا عزيزتي أن الروح تكون  
في أضعف حالاتها في ساعات الفجر .

جان : وقد استطعت أن أقاوم الروي : بعد عدة ساعات  
من الصلاة عدت إلى نفسي . غير أن الزيارات —

مليون : أي زيارات ؟

جان : لقد أتاني بالليل سلفك الكاهن موسو . ووقف  
إلى جوار سريرى

مليون : ألم تكن هذه زيارة محبة يا بني . لقد كان موسو  
رجلا طيبا وكنت مشغوفة به .

هل تحدث اليك ؟

جان : نعم

مليون : ماذا قال ؟

جان : كلاما قدرا

مليون : ما هو ؟

جان : كلام قدر . فحش من القول فيه سخرية ،  
وازدراء وإيذاء

مليون : أنختي الحبيبة —

جان : لم يأتيني بشخصه

- مليون : ماذا تعنين ؟
- جان : جاءني شخصا آخر . رجلا آخر
- مليون : وهل تعرفين هذا الرجل ؟
- جان : نعم
- مليون : من هو ؟
- جان : جراندير . الاب جراندير
- ( صمت )
- مليون : عزيزتي . هل تدركين خطورة ما تقوين ؟
- جان : ( هادئة ) نعم . ساعدني يا ابي

( جراندير فوق المنبر )

- جراندير : ان بعض الفجار يحوسون خلال المدينة ويتمحدثون  
ضدي . وأنا أعرفهم . وأنتم تعرفونهم اذا  
قلت لكم ان الجراحة والصيدلة يسيران متكاتفين .  
يولدان الدود داخل السور . يقدمان شهادة زور .  
انهما يتجسسان . ويتسللان . ويضحكان في  
سخرية . ولقد كان أول من أخطأ رجل اسمه  
آدم . وهو الذي تسبب في القتل . لماذا يتابعان  
خطاي . لست عليلا !

ان كانوا هنا في هذا المكان المقدس فليجابهوني  
ويعلنوا كراهيتهم لي . ويقدموا لها الأسباب .  
لست أخشى أن أتحدث صراحة عما يحاولون  
كشفه سرا . ليقفوا أمامي ان كانوا في هذه  
الكنيسة . ( صمت ) كلا . انهم في جحر تحت  
الارض يحفرون لكي يخرجوا على سطح الارض  
مزيدا من السم يصيبوننا جميعا به . انهم يستقطرون  
المرارة في الأنابيب . فيكشفون عن الشهوة وعن  
الحسد ، ويشقون الجروح بسن المبضع .

( وفي خلال ذلك يقرب دي لوباردمنت من  
اثنين من المساعدين ويصغى ، ثم يتابع المسير )

أيها الأبناء . ما كان ينبغي لي أن أتحدث اليكم  
من هذا المكان ، وما كان ينبغي لي أن أتحدث اليكم  
في مرارة باعتباري راعيا لكم . فهل هم . يشربون  
في نفسى الغضب ؟ يقول الرب — انهم يشربون  
أنفسهم حتى تضطرب وجوههم .

( الصيدلة . آدم ومانورى )

: لقد تجاوزت العاشرة . هل تتصور ذلك ؟

آدم



- مانورى : دار بيتنا حديث ممتع
- آدم : وهل وصلنا إلى نقطة ما ؟
- مانورى : ان أحدا بالباب
- آدم : مستحيل
- مانورى : انه موجود
- ( آدم يفتح الباب . يرى لوباردمنت واقفا )
- آدم : اننا لا نؤدى عملا . اغلق الباب
- لوباردمنت : اسمى جين دى مارتان ، بارون دى لوباردمنت .  
وأنا مندوب الملك الخاص الى لودان
- آدم : هل تستطيع أن أقدم اليك المساعدة ؟
- لوباردمنت : ارجو ذلك
- ( يدخل لوباردمنت المحل )
- لوباردمنت : اننى فى زيارة للمدينة للقيام ببحث معين
- مانورى : ( فى حذر ) كلانا رجل امين
- لوباردمنت : اعلم ذلك . ومن أجل هذا قصدت هذا المكان .  
وكثيرا ما وجدت فى مثل هذه الحالات أنه  
ربما كان هناك فى المدينة رجلان لم يلحقهما  
الفساد . وهما فى العادة صديقان حميمان من

أرباب المهن ومن الطبقة الوسطى ، غصب  
الأمة . اهتمامهما بالوطن شديد . محبان للبلاد .  
فقدوا أبناء في الحروب . زواجهما سعيد .  
يستطيعان ان يسدوا نفقات العيش برغم الضرائب .  
يعيشان حياة تقشف ولكنهما يحبان أن يكون  
مالديهما جميلا .

هل اصبت القول ياسادتي

آدم : منتهى الصواب

لوباردمنت : حسنا . أريد أن تخبراني بكل ماتعلمان عن رجل  
اسمه جراندير . الاب جراندير الذي يتبع  
كنيسة القديس بطرس .

آدم : وأخيرا يا صديقي مانوري !

(جراندير وفيليب في مكان منزل)

فيليب : لابد أن أنصرف الآن .

جراندير : نعم

فيليب : لا أحب أن أسير في الطرقات ليلا . فالكلاب  
تنبح . استمع ! انها تنبح الآن

جراندير : بكم أود أن أرافقك . كنت أحب — اوه .  
أين اللفظ . يعوزني اللفظ .

فيليب : ماذا تريد ؟

جراندير : اقبلي . برفق . أريد أن أخبرك

فيليب : ماذا ؟

جراندير : تعلمين ان الغزل —

فيليب : ماذا ؟

جراندير : أريد أن أخبرك يا فيليب أن بين الملابس الملقاه  
على الأرض والملاءات الملطخة ، والدروس ،  
والأجهزة ، والجراحة — بين هذا كله عاطفة  
يحسها القلب

فيليب : أعرف ذلك . انه الحب . الحب البشرى

( صمت )

جراندير : هل هذا هو تفسيرك له ؟

فيليب : أظن ذلك

جراندير : هل أنا أحبك ؟

فيليب : أعتقد ذلك

حراندير : اذن أى نوع من أنواع الراحة استطيع أن أقدم اليك ؟

( صمت )

فيايب : اننى فتاة ساذجة أرى العالم وأرى نفسى كما تعلمت . انا ممعنة فى الأثم ، ولكن حبيبى لله لم يتدخل عني . يقول « الناس » ان من يكون فى مثل موقفنا عليه أن يقابل ربه . واعتقد فى صدق ذلك . ولن أخشى أن أبوح بما فى نفسى لله وانت بجانبى ، حتى فى حالة ارتكابنا الخطيئة . لانى اعتقد أن الله طيب ، حكيم ، رءوف دائماً .

( صمت )

جراندير : انك نتحجلىنى .

(الصيدلية : دى لوباردمنت . مانورى . آدم

وقد انضم اليهم الأب منيون )

منيون : لم أستطع أن أحصل على أكثر من ذلك من رئيسة الدير . ولا أستطيع أن أثبت شيئاً . وقد تكون مجرد امرأة هستيرية .

آدم : وهل يهم ذلك ؟

مليون : كم أود أن تكون هناك يامانورى باعتبارك جراحا ، وأنت يا آدم باعتبارك صيدليا .

لوباردمنت : وهل يمكننى أن أحضر باعتبارى طرفا محايدا .

مليون : بالتأكيد أن كان الأمر واقعا ، فكلما كثر عدد الحاضرين - ( يتوقف )

لوباردمنت : هل كنت تريد أن تقول : كلما كثر عدد الحاضرين تضاعف المرح ؟

مليون : لقد بعثتُ برسالة إلى الأب بارى فى شينون . فهو خيرنا المخلص العظيم فى مثل هذه الأمور .

مانورى : يسعدنى جدا أن أقدم اليكم المشورة الطبية يا أبى آدم : وسوف ابدى رأى فى أية ظواهر كجماوية أو بيولوجية .

مليون : انها بالفعل تشكو تضخما فى بطنها مصحوبا بتقلصات عضلية حادة

آدم : مدهش !

مانورى : ليست هذه حالة شاذة . انه لا احساس بالحمل الكاذب . وقد عرفت ذلك من قبل . ولا شأن للشيطان فى ذلك . هل تهب الريح ؟

لوباردمنت : لا جدوى من التخمين . وعما قريب ينبلج  
الصباح .

( ساعة الفجر . جان تصلى إلى جوار فراشها  
البسيط )

جان : أدعوك يارب أن نجعلنى امرأة طاهرة . اللهم  
ارع أبى وأمى العزيزين ، وحافظ على كل  
كاتبين الذى احببى ولم يفهم لماذا تركته كل  
هذا الزمن الذى مضى ... الهى . انى أحب  
أن اؤدى لك صلاة رسمية . ولكنى لا أستطيع  
ذلك الا من الكتاب فى الكنيسة ( صمت ) .  
احببى ( صمت ) احببى . اللهم آمين .

( تنهض جان وتخرج من الغرفة الى مكان منطلق  
فسيح حيث يقف : دى لوباردمنت ومانورى  
وآدم ومنيون ورائجر وبارى وتقترب منهم جان )

بارى : دعونى أعالج هذه الحالة . عى صباحا ايها  
الانخت . هل أنت فى صحة جيدة ؟

جان : فى صحة جيدة جدا . اشكرك ايها الاب

بارى : حسنا جدنا . اركعى

(جان تركع . ويتوجه اليها بارى)

بارى : (يصيح فجأة) هل انتم هنا (١) هل انتم هنا !  
(صمت : ثم يوجه الخطاب الى الآخرين)  
انهم لا يجيبون فى الحال اطلاقا . فهم يخشون  
أن يلتزموا امرا . (الى جان) تعالى ، صرحى  
بما فى نفسك . باسم سيدنا يسوع المسيح --  
(تطرح جان رأسها الاعوج الى الوراء فجأة  
ويخرج من فمها الفاجر المشوه موجات من  
الضحك الذى يشبه ضحك الرجال ) .

بارى : (مطمئن النفس - الى الآخرين) انهم دائما  
يلجأون الى هذه الحيلة .

جان : (فى صوت عميق كصوت الرجال) نحن هنا .  
نحن هنا مقيمون

بارى : سؤال واحد

جان : بوه

بارى : لا تكونوا وقحين . سؤال واحد . كيف استطعتم  
التسلل إلى هذه المرأة المسكينة ؟

---

(١) يخاطب الشياطين التى تسلت الى جان



جان : ( في صوت عميق ) انها خدمات طيبة يقدمها  
صديق .

بارى : ما اسمه .

جان : اسموديوس (١)

بارى : هذا اسمك . ما اسم صديقك؟

( جان ترنح على ركبتيها :

تصيح صيحات مختلفة ،

تتكون منها في النهاية كلمة )

جان : جراندير ! جراندير ! حراندير !

( ضحك عميق كثيب )

ستار



---

(١) اسم الشيطان الذي تتلبس به جان



## الفصل الثاني

المكان : كنيسة القديس بطرس

الزمان : في المساء

(يرى جراندير عند المذبح، وفيليب جاثية عند قدميه

جراندير يرفع صينية ، ثم يقول : ) .

جراندير :

Benedic, + Domine, hunc annum, quem nos in tuo nomine benedicimus, + ut quae eum gestaverit, fidelitatem integram suo sponso tenens, in pace et voluntate tua permaneat, atque in mutua caritate semper vivat, Per Christum Dominum nostrum. (1)

فيليب : آمين

( جراندير يرش الماء المقدس على الخاتم ، ثم

يلتقط الخاتم من فوق الصينية ، يهبط ويبحثو

إلى جوار فيليب )

جراندير : بهذا الخاتم ارتبط بك برباط الزواج . وهذا الذهب

---

(1) ومعناها بالعربية : بارك + ايها الرب هذا الخاتم الذي تباركه باسمك +

لكي تظل من تلبسه في سلام مطيعة لارادتك مستمسكة بالعفة النقية لبعلاها

ولكي تعيش دائما في محبة متبادلة .

وهذه الفضة اهبهما لك . ويجسدي أعبدك ، وبكل  
ما عندي في الدنيا من طيبات أمهرك .

( يضع جراندير الخاتم على إبهام فيليب قائلاً )

جراندير : باسم الآب ( ثم على الأصبع الآخر ويقول )  
وباسم الابن ( ثم على الأصبع الثالث ويقول )  
وباسم الروح القدس ( وأخيراً على الأصبع  
الرابع ويقول ) آمين -  
( وعلى هذا الإصبع يترك الخاتم )  
( جراندير يعتلي سلم المذبح ) .

جراندير : Confirma hoc, Deus, quod operatus es in nobis.

فيليب : A templo sancto tuo, quod est in Jerusalem :

جراندير : Kyrie eleison

فيليب : Christe elesion

جراندير : Kyrie elesion (1)

( يتحدثان ) Pater noster (2)

---

(١) ومعنى ذلك بالعربية :

جراندير : ثبت أيها الرب هذا الذي منحته وأودعته فينا

فيليب : في معبدك المقدس الذي يوجد في أورشليم

جراندير : الرحمة ، أيها الرب

فيليب : الرحمة أيها المسيح

جرايدير : الرحمة ، أيها الرب

(٢) أبانا

( ثم ينخفض همس صوتيهما تدريجاً حتى الضمت )

في الشارع .

( يرى عامل الحجارى جالساً على راحته . ممسكاً  
بقفص نخوي طائراً : جراندير وفليب يقبلان  
من الكنيسة )

فليب

يجب أن تخرج إلى ضوء الشمس . ويجب أن تدق  
الأجراس مغلنة للعالم أمراً . ولا يجب أن نكون  
في الليل . وفي مثل هذا الهدوء . يا الهى . قبلنى  
يا زوجى

( يتبادلان قبلة ثم يتحدث عامل الحجارى )

العامل : وهكذا انتهى الأمر . أبى رأيكما تدخلان الكنيسة

جراندير : انتهى الأمر . وانتهى على خير . هل الطائر يغنى ؟

العامل : ليس في قدرته . أنه بغير لسان

جراندير : هل تحمله حباً فيه ؟

العامل : لا يرد هذا الخاطر إلا على رجل طيب . أو على

رجل فاقد الأمل . كلا . اننى أحمله لكى يموت ،

وأحيا . إنه مخلص : من مخلصك ؟

جراندير : إنك —

العامل : أتريد أن تسبني ؟

جيراندير : نعم

العامل : آسف . هل تعرف الحفر التي تقع في طرق

المدينة ؟ حيث تبعث حتى محبوبتك هذه ما يملأ

جراذلي ؟ في بعض الأيام تنبعث من هذه الحفر

السموم . ولذا فإنني اقرب منها دائماً ومعنى هذا

الطائر فوق عمود أمامي . ولقد مات الكثير قبل

هذا الطائر من رائحة الأبخرة العفنة . فإذا حدث

هذا عرفت أن المكان لا يلائمني . ولذا فإنني أطلق

الحجاري تنصرف يوماً أو يومين وأنفق الوقت في

صيد فريسة أخرى أحبسها هنا . انك تفهم ما أعني

( صمت )

جيراندير : لقد وضعت ثقتي في هذه البنية . وهي ليست

فريسة .

العامل : الأمر كما قلت .

جيراندير : استمع إليّ . حتى في هذه الساعة اليائسة لا بد أن

تعترف بأن ما يدور بين الكائنات البشرية هو

أكثر من تلك الحركات التي تمسك كما تمتد المغاسل

بالعمل .

- العامل : لست أجادل .
- جراندير : هناك طريق للخلاص يجده كل منا في الآخر .
- العامل : هل أنت تحاول أن تقنعني ؟
- جراندير : أود ذلك .
- العامل : وما حكايتك ؟ هل هذا الحفل الصغير الذي أقمته هناك أمدك بهذه الحيلة ؟
- جراندير : لقد أمدني بالأمل .
- العامل : الأمل في أي شيء ؟
- جراندير : الأمل في أن أصل إلى الله عن طريق مخلوق .
- الأمل في أن الطريق — التي يسير فيها المرء وحيداً فتكون طريق اليأس — يمكن أن تضاء بحب امرأة .
- ولقد آمنت بأنه يمكنني بهذا العمل اليسير الذي ألزمت به نفسي ، والذي قمت به من كل قلبي ، أن أصل إلى الله عن طريق السعادة .
- العامل : ما هي هذه الكلمة الأخيرة التي نطقت بها ؟
- جراندير : السعادة .
- العامل : لا أعرف لها معنى . لا بد أنك صيغتها لهذه المناسبة .
- لقد بدت تبشير الصباح .
- فيليب : لا بد أن أنصرف .



العامل : نعم . ويجب أن يجذوا الفراش خالياً . كما يجب ألا  
يجدوه مليئاً أكثر مما ينبغي .

فيليب : ( إلى جراندير ) حدثني .

العامل : قلها .

جراندير : أحبك يا فيليب .

( فيليب تنصرف )

العامل : بمناسبة الحديث عن الحب : إن أموراً عجيبة جداً  
تحدث في دير الراهبات .

جراندير : هكذا قيل لي .

العامل : الظاهر أن هؤلاء السيدات المجنونات يلوحن باسمك

جراندير : يجب أن نشفق عليهن .

العامل : وهل يشفقن عليك . هذا هو السؤال ؟

جراندير : ماذا تعني ؟ أيهن مخدوعات

العامل : في أي حال كنت — منذ بضع لحظات — مع هذه  
الفتاة ؟

جراندير : كنت سليم العقل ، وكنت على علم بما كنت أفعل .

قد تسخر مني يا بني ، إن شئت — إلا أن ما قد

يبدو لك عملاً لا معنى له ، أعني زواج قسيس

لا يصح له الزواج ، له عندى معنى . ان المنفردين  
والمتكبرين يحتاجون أحياناً إلى الإفادة من بعض  
الوسائل البسيطة : وأنا كذلك قد لهوت بالبريئات  
قبل اليوم . أن تحطه مقامك قد رفعتك إلى مكانة  
عالية غير مقدسة . فمن هذا المستوى المرتفع كن  
رحيماً عاقلاً ، واشفق بى ، اشفق بى .

العامل : : لنكن ذلك : وأرنجو أن يشفق بك كذلك النساء  
الطيبات فى بيت القديس أرسولا .

النهار  
( جان على ركبتيها . بارى ورائجير ، ومنيون  
يواجهونها ) .

بارى :

Exorcise te, immundissime spiritus, omnis incursio adver-  
sarii, omne phantasma, omnis legio, in nomine Domini nostri  
Jesus Christi, eradicare et effugare ab hoc plosmate Dei. (١)

( رائجير ومنيون يتقدمان . رائجير يرش الماء  
المقدس . ومنيون يعد الرداء المقدس . أسمودىوس (٢)  
فى صوت عميق يتكلم على لسان جان )

---

(١) ومعناها بالعربية : ابتعدى ، ايتها الروح النجسة ويا ايها الاعداء المهاجمون  
كافة ويا كل طيف ويا جمهرة الخلائق قاطبة ، باسم سيدنا عيسى المسيح  
فلتستأصلك ولتطاردك هذه الطلعة الربانية .

(٢) الشيطان الذى يلبس جان .

اسموديوس : انكم تضيعون وقتكم أيها السادة . انكم تبللون السيدة ، ولكنكم لاتمسوني .

بارى : ( إلى مينون ) أعطني هذا الأثر .  
( مينون يسلم بارى صندوقاً صغيراً يوضع على ظهر جان )

Adjure te, serpens antique, per judisem vivorum et mortuorum...  
(١)

اسموديوس : عفواً

بارى : (٢) ... per factorum tuum, per factorum mundi...

اسموديوس : يؤسفني أن أقاطعك

بارى : ماذا تريد أن تقول ؟

اسموديوس : لست أفهم كلمة مما تقول . أنا شيطان كافر بالله . هذه اللاتينية — وأظن أنك تتحدث بها — لغة أجنبية بالنسبة إلى .

بارى : العادة أن تقوم بإخراج الشيطان باللاتينية .

---

(١) أتفرع اليك ايها العجوز ، بسلطان قاضي الاحياء والاموات

(٢) بسلطان خالقك ، بسلطان خالق الكون

اسموديوس : أنك ضيق العقل . ألا يمكن أن نستمر في حديثنا السابق . الذي شاقني كثيراً ، عن النشاط الجنسي للقساوسة ؟

بارى : لا يمكن بالتأكيد .

اسموديوس : هل صحيح أن الرجال في أبرشيته ... (ضحكات جنونية ) ... هل صحيح أنهم ينحنون (١) . دعني أهمس .

جان : يا الهي ! اخرج هذا الشيء مني .

اسموديوس : صه ، أيتها المرأة إنك تعترضين مناقشة دينية .

جان : أبى ، ساعدنى .

بارى : بنيتى ، إني أفعل كل ما أستطيع .

( بارى ينتحى جانباً مع رانجير ومانيون . ويوجه بارى الحديث إلى رانجير )

بارى : ان الملعون يعتقد أنى هزمت .

اسموديوس : انت مهزوم .

بارى : يظهر أنه يكمن فى هذه اللحظة فى المصرا

الأسفل . هل آدم ومانورى هنا ؟

---

(١) إشارة الى الشلوذ الجنسي .

رانجير : أنهما في الإنتظار . هينا في الداخل .  
باري : أرجو أن تطلب إليهما أن يستعدا وقدس الماء  
في خلال ذلك .

( يخرج رانجير من خلال الباب الصغير المنخفض .  
ويلتفت باري إلى جان )

باري : أختي العزيزة ، لابد من إجراء عنيف .

جان : ماذا تعنى يا أبى ؟

باري : لابد من إخراج الشيطان منك بالقوة .

جان : هل هناك طريق آخر غير عملية إخراج الشيطان ؟

باري : ها ها . يقولون إن الشيطان لا يسكن إلا في

الأبرياء . ويبدو أن هذا القول صدق في هذه

الحالة ، نعم يا بنى ، هناك طريق آخر . ( يصيح )

هل تسمعنى يا اسموديوس ؟

اسموديوس : ( هل هو صوت جان ؟ ) الرحمة ، الرحمة

باري : ( يصيح ) كلام فارغ .

( صمت )

رانجير يخرج من الحجرة الداخلية )

باري : انك تبدو شاحب اللون جداً يا ولدى . إن استخدام

أمثال هذه الطرق في وظيفتنا يغمك . انتظر حتى

تمارسها بمقدار ما مارستها . مهما يكن من أمر ،  
لأبد أن تسائر الكنيسة الزمان . ( إلى جان )  
تعالى يا أخى العزيزة . من خلال هذا الباب الضيق .  
هنا يكون خلاصك . إنها تبدو كالطفلة ، أليس  
كذلك ؟ ومنظرها يؤثر في الشعور . أو ... م .  
تقدمي . هيا . حسناً . حسناً . بضع خطوات أخرى .  
( جان تتقدم نحو الباب الضيق )

اتوجهك قوة الخير . لا تتقدمي كثيراً بعد هذا .  
كفى .

( جان تقف بالباب تحديق في الحجرة الصغيرة  
المظلمة - ثم ترى وهي تناضل بين يدي بارى ،  
وكأنها حيوان يعوى . . )

بارى : ( في قوة وفي وثوق ) ساعدني يا رانجير  
( يتقدم رانجير نحو بارى ، ويمسك المرأة معاً )  
جان : كلا ، كلا ، إنى لم أقصد ذلك .

بارى : فات الأوان يا اسموديوس . هل تنتظر الرحمة  
الآن ، بعد سبابك وألفاظك القذرة في حق الله ؟

جان : أبى . أبى بارى . أنا التى أكلمك الآن ، الأخت  
جان التى تنتمى إلى الملائكة (١)

---

(١) ذلك معنى اسمها ديوانج

بارى : أى اسمو ديوس ، لقد تحدثت بأصوات عديدة .  
جان : بل هى أنا يا أبى . أنا الأم المحبوبة فى هذا الدير  
العزیز ، حامية الأطفال الصغار .

بارى : صه أيها الحيوان ! دعنا ندخلها هنا يا رانجير .  
هل أنت مستعد يا آدم ؟

آدم : ( من الداخل ) على أتم استعداد .  
( بارى و رانجير يحملان المرأة المناضلة إلى الغرفة .  
ويغلق الباب محدثاً صوتاً . ويبقى منيون وحيداً  
وهو يجثو على ركبته ويشرع فى الصلاة .

تصدر عن جان صيحة من داخل الغرفة . ثم  
تتحول الصيحة إلى نحيب وضحك . فيعلو صوت  
منيون فى الصلاة . صوته فارغ ، منفعل ،  
ضعيف ، يصعد ثم يتلاشى )

يتحرك إلى المقدمة دارمنياك ودى سيريزاى  
وجراندير )

دى سيريزاى : الظاهر أن الشيطان قد خرج من المرأة فى تمام  
الساعة الثانية .

دارمنياك : وماذا تم بشأن الأخريات ؟



دی سیریزای : إن الآباء منشغلون الآن بهن .

دارمنیاك : بنفس الطريقة ؟

دی سیریزای : كلا . يظهر أن هناك طرقاً أخرى طبيعية لإخراج

الشیطان قد أثبتت نجاحاً بعد الرئیسة . قليل من

الماء المقدس — يستعمل من الظاهر — وبضع

دعوات ، تم تنصرف الشیاطین .

دارمنیاك : نرجو إذن أن يسود الهدوء .

دی سیریزای : لست أدري .

دارمنیاك : ألا تستطيع القيام بشيء لو عاد الأمر ؟ باعتبارك

قاضياً . من رأيي أن هذا السلوك نوع من أنواع

الإخلال بالنظام .

دی سیریزای : لقد قابلت باری ورائجیر منذ أيام وسألتهما عن

شرعية الوسائل التي لجأوا إليها فأغلق باب الدير

بعد ذلك في وجهي . انني أوقع نفسي في مركز

خرج ان أنا استخدمت القوة ضد القسيس . وقد

طلبنا إلى أن أحضر مساملة الأخت جان . وأنا في

طريقي إلى هناك الآن .

دارمنیاك : ( إلى جراندير ) هل تعلم ان أسمك يقحم دائماً

في هذا الموضوع ؟

جراندير : نعم أعلم ذلك .  
دارمنياك : أليس من الخير أن تتخذ خطوات لتبرئ نفسك ؟

دى سيري زاي : هل أسأت إلى هذه المرأة بأية وسيلة ؟  
جراندير : لست أدري كيف يكون ذلك ممكناً . إذ أنى لم أرها قط .

دى سيري زاي : إذن فلماذا أثرت أن تقول إنك الحافز الشيطاني لها ؟  
جراندير : إنك تبدو خائفاً يا سيري زاي . ساحنى .  
دارمنياك : إنما أنت الذى ينبغى أن تخاف ، أيها الأب . كانت هناك قضية منذ بضع سنوات — انى لا أذكر اسمه —

جراندير : أنا أذكره ، ذلك الشيطان المسكين . وقد كانت هناك عدة قضايا ياسيدى .

دارمنياك : انت فى خطر .  
جراندير : من الموت ؟ ولكن لن يكون ذلك بالتأكيد على أساس قصة سخيصة كالتى تروى فى الدير .  
إن الموت يا سيدى يجب أن يكون أعظم من ذلك . وأكثر دلالة ، لرجل من شاكلى .

دارمنياك : كيف انتهت حياة أولئك الرجال الآخرين ؟

نجراندير : شدوهم. إلى قوائم خشية وأحرقوهم . ولكنهم

كانوا رجالا مغمورين يشرون السخريه . كانوا  
مادة تستحق هذه التضحية . وذلك كل ما في الأمر

دى سريزاي : سأقدم لك أنا ودارمنياك كل ما نستطيع من معونة.

: أيها الأب :

نجراندير : هل أستطيع أن أتحدث إلى أئخذكما في هذا الأمر

بضراحة ؟ عندما قدمت إلى هنا هذا الصباح

سمعت القضاة تحكى في الطرقات العامة .

فضحكتم . وظننت أنكما تضحكان كذلك .

هل من الحق أن الشيطان يلبسها ؟

دى سريزاي : لا يستدل على ذلك مما شهدت . وسوف أرى

المرأة اليوم كما قلت لكم . وسأخبركم بما يحدث .

ولكنك لم تجب عن سؤالى لماذا آثرتك أنت ؟

نجراندير : النساء المعتزلات يهين أنفسهن لله . ولكن يبقى

في نفوسهن شيء يلح في أن يوهب للرجل . ومن

الممكن أن تهيه من طهرت قلوبهن حقاً على شكل

صدقة . أما مع ضعف القلوب فالأمر ليس بهذه

السهولة . والأمر يدعو إلى الأسى . وهو مؤسف .

جداً في الحقيقة إذا تدبرته . تصور أن تتيقظ بالليل

يحلم بربىء جداً . حلم عن طفولتك أو عن صديق  
لم تره منذ سنوات ، أو عن مرأى وجبة طيبة .  
هذه خطيئة . ولذا فعليك أن تتناول سوطك  
الصغير وتضرب به جسدك . وهذا هو مانسميه  
تدريب النفس . ولكن الألم نوع من الحس ، وفي  
دوامته ، تدور صور من القزع والشهوة .  
والظاهر أن أختي المحبوبة في يسوع قد ركزت  
عقلها في . وليس لذلك سبب ياسيريزاى . منديل  
يسقط ، أو مذكرة تسطر ، أو لخط يدور على  
الألسن . ان أياً من هذه الأشياء يوجد في بيداء  
الجسم والعقل بسبب الدعاء المستمر يبعث الأمل .  
ومع الأمل يأتى الحب . ومع الحب — كما نعلم  
جميعاً — تأتى الكراهية . وهكذا فإنى أملك على  
هذه المرأة نفسها . اللهم ساعدها في فزعها وشقاوتها .  
اللهم ساعدها .

( إلى دارميناك ) ولنتحدث الآن ياسيدى في الأمر  
الذى من أجله أتيت . عندى الرسوم الجديدة  
لبيتك الصغير . فهل تأتى لمشاهدتها ؟ وقد راجعت  
وعدلت التصميم وجعلته خلواً من كل تافه .  
كما شئت .

( جراندير ودارمنياك ينصرفان . ويحقق فيهما  
سيريزاي لحظة ، ثم يتحرك ليدخل - )

( غرفة مرتفعة السقف مؤثثة بسريرين صغيرين .  
تشغل جان أحدهما . وباري ورانجير ومنيون  
حاضرون . وكذلك آدم ومانوري . ويرى كاتب  
يقوم بالتسجيل ) .

باري : لابد من أسئلة أخرى أوجهها إليك يا أختي  
العزيزة في المسيح .

جان : وما تلك يا أبي .

باري : هل تذكرين أول مرة اتجهت فيها أفكارك إلى  
هذه الرذائل ؟

جان : أذكر ذلك جيداً .

باري : خبرينسا

جان : كنت أسير في الحديقة . ثم توقفت . وقد شهدت  
ملقى عند قدمي عود عضاة فتملكني غضب آثم  
لأنني في ذلك الصباح عينه كان عندي مادعاني إلى  
إنذار أختين لإهمالهما واجباتهما في الحديقة .  
والتقطت هذا العود النابي غاضبة . ولا بد أنه كان

شائكاً لأن الدم تدفق من جسدى . ولما شهدت  
الدم امتلات نفسى رقة .

رانجير : ولكن هذا الإيجاء ربما نشأ عن مصدر آخر .  
بارى : ومع ذلك . ( ينظر إلى الكاتب ) هل أنت  
تسجل ذلك ؟

جان : كانت هناك مناسبة أخرى .

بارى : نخبرينا

جان : انقضى بعد ذلك يوم أو يومان . وكان صباحاً  
جميلاً . بعد ما قضيت ليلة من النوم الذى لم  
يراودنى فيه حلم . وعلى عتبة غرفتى وجدت  
باقة من الورد . التقطت الورد وشبكته فى حزامى .  
وفجأة شعرت بهزة عنيفة فى ذراعى اليمنى .  
واستولت على معرفة عميقة بالحلب . الحت على  
خلال صلواتى وتعذر على أن أركز عقلى فى أى  
شيء ، فقد امتلاكه بصورة رجل انطبعت فى نفسى  
انطباعاً باطنياً عميقاً .

بارى : هل تعرفين من نعث بتلك الزهور ؟

جان : ( بعد صمت طويل ، وفى هدوء ) جراندير ،  
جراندير

- بارى : ما وظيفته ؟
- جان : قسيس
- بارى : من أية كنيسة ؟
- جان : كنيسة القديس بطرس .
- ( يلتفت بارى ليحقق فى دى سيرايزاى فى صمت ) .
- دى سيرايزاى : ( فى هدوء ) هذا لاشيء .
- ( بارى يلتفت ثانية إلى جان ) .
- بارى : هذا لا يقنعنا يا أختى العزيزة . وإذا بقينا كذلك  
بغير اقتناع فلست بحاجة إلى أن أذكرك أنك  
ستواجهين اللعنة إلى الأبد .
- ( جان ترمى فجأة على السرير وتنهق كالخنزير  
الصغير — اسنانها تصطك وتعبث بنظام السرير  
المرتب . ويتراجع الرجال عنها . ثم تعتدل فى  
جلستها وتحقق فيهم ) .
- بارى : ( فى عجلة شديدة ) تكلمى .. تكلمى
- جان : حل .... المساء .... وغربت شمس النهار
- بارى : ثم ماذا ؟
- جان : وعقدت شعرى إلى الخلف . ومسحت وجهى :

عدت إلى طفولتي ، ايه ؟ مسكينة يا جان .  
أصبحت امرأة نامية . خلقت ل.... ل....

بارى : استمرى

جان : ثم أتاني

بارى : سمته

جان : ( في الحال ) جراندير . جراندير . دخل الليث  
الجميل الذهبي غرفتي باسماء .

بارى : وهل كان وحيداً ؟

جان : كلا ، كان معه ست من مخلوقاته .

بارى : ثم ماذا ؟

جان : ضمني في رفق بين ذراعيه وحملي إلى المعبد .  
وأخذ كل واحد من مخلوقاته إحدى أخواتي  
المحبيبات .

بارى : ثم ماذا حدث ؟

جان : ( باسمه ) أوه . تصور معبدنا الصغير ، على بساطته  
وخلوه من الزينة . لقد كان في تلك الليلة مكاناً  
للترف والحرارة المعطرة . دعني أخبركم . لقد  
امتلاً بالضحك والموسيقى . وكان فيه الخمل ،  
والحرير ، والمعادن ، وخشب أرضه لم يكن ممسوحاً .



لم يكن البتة نظيفاً . نعم وكان هناك طعام . لحم حيواني عظيم ونييد ، ثقیل ، كفاكهة الشرق . وكنت قرأت عن ذلك كله . وقد اتخمتنا أنفسنا إلى درجة قصوى .

دى سيريزاى : إنما هذه صورة ساذجة للجحيم .

بارى : أوش . استمرى .

جان : لقد نسيت . كنا فى أزياء جميلة . وكان ردائى على كانه جزء من جسدى . وأخيراً لما تعريت وقعت بين الأشواك . نعم كانت الأشواك منتشرة فوق الأرض . ووقعت بينها . تعال إلى ( تشير إلى بارى الذى ينحنى نحوها وتهمس ثم تضحك )

بارى : ( مكتشياً ) تقول إنها واخواتها قد أرغمن على أن يكونن من أنفسهن مذبجاً فاحشاً . وقد توجهوا إليهن بالعبادة .

جان : مرة ثانية .

( تهمس مرة ثانية ، ثم تضحك )

بارى : تقول إن الجن كانت ترعى جراندير ، وإن اخواتها المحبوبات كن يغوينها . إنكم تفهمون ما أعنى أيها السادة .

( جان تجذب باري إليها مرة أخرى . وتهمس  
في خبل وتصبح كلماتها مسموعة بالتدريج )

جان : .... وهكذا قهرنا الله من عقر داره . وفر مفزوعاً  
من الاحساسات التي أودعتها في الرجال يد أخرى .  
ولما تحررنا منه ، احتفلنا برحيله مرة أخرى .  
( ترمي على ظهرها ) إن الله — بالنسبة إلى شخص  
عرف ما عرفت — قد انتهى — وقد وجدت  
راحة النفس .

( صمت . منيون يخر على ركبتيه ويصلي . ويمسك  
باري دى سيزيزاي من ذراعه . ويبتعدان عن  
جان والآخرين وهما يتكلمان ) .

باري : كانت امرأة بريئة .

دى سيزيزاي : إنه لم يكن الشيطان . فقد كانت تتكلم بصوتها .  
وهو صوت امرأة بائسة . وهذا هو كل ما في  
الأمر .

باري : ولكنها لجأت إلى الخيال المنحط واللغة القذرة في  
اعترافات أخرى . ولا يمكن أن يصدر ذلك  
عن امرأة من نساء الدير بغير عون . إنها تلميذة .

دى سيزيزاي : بحر اندير ؟

باری : نعم له

دی سیریزای : ولكن الرجل يقسم أنه لم يزر المكان قط من قبل .

باری : لم يزرها بشخصه .

دی سیریزای : لابد من وسيلة ثبت بها ما تقول . هل تسمح

أرجالي بدخول البيت ؟ إنهم سيقومون بالمباحث

على مستوى رجال الشرطة .

باری : هل تريد الاثبات ؟ ذكر ثلاث من الأخوات

إنهن مارسن الاتصال بالجن وفقدن بكارتهن .

وقد فحصهن مانوري . ولم يجد واحدة منهن بكرأ .

دی سیریزای : أبي العزيز . لست أريد أن أسىء إلى احساسك ،

ولكننا جميعاً نعلم الاتصال العاطفي الذي يتم بين

الشابات في هذه الأماكن (١) .

باری : أنت لا تريد أن تقتنع .

دی سیریزای : بل أريد . وبكل شدة . أن أقنع بهذا أو بذاك

( دی سیریزای ينصرف . باري يتلفت .

ومانوري وآدم يقتربان ) .

آدم : ماذا جرى ؟

مانوری : أمور تفتن البصر .

---

(١) إشارة إلى السحاق

- آدم : غير عادية .
- مانورى : يجب أن أقول ذلك . لا يمكن أن يكون الجحيم  
تملاً كما يصوره بعض الناس . ها ها . ماذا ترى ؟
- آدم : هذه الأمور !
- مانورى : أقول لك الحق إنى أعتقد أننا لو عالجنا هذه القضية  
فى كتاب خاص نطبعه وجدنا له سوقاً رائجة .  
هل نكتب هذا الكتاب ؟
- آدم : دعنا نفعل ذلك .  
( يقتربان من بارى ) .
- بارى : هل فحصتها ؟
- مانورى : نعم ، وسأقدم لك تقريرى فيما بعد .
- بارى : هل يمكنك حتى آنئذ أن تذكر لى شيئاً يعيننى على  
المضى ؟
- مانورى : إننى كرجل صاحب مهنة —
- آدم : إنه يتحدث عنى .
- مانورى : لا أريد أن التزم بشيء .
- بارى : حتى —
- مانورى : حسناً . دعنى أقول لك ذلك . كانت هناك أمور  
تدور فى الخفاء .

- بارى : لا تخفف اللفظ . كانت هناك فاحشة .
- مانورى : ذلك أقرب ما تكون .
- بارى : الشهوة . لقد نالوا منها .
- آدم : أظن ذلك .
- بارى : شكر آسيدى . ذلك كل ما أريد . أنظروا .
- ( يسود الصمت . جراندير يسير على مبعدة .  
ينصرف بارى ومانورى وآدم . جراندير يقترب .  
تهرع إليه فيليب ) .
- فيليب : قالوا إنك كنت فى بيت الحاكم .
- جراندير : إننى قادم من هناك لتوى . ما الأمر ؟
- فيليب : أريد أن أعرف . هل كنت قلقة فى الليلة الماضية ؟
- كان لا بدلى أن أتركك قبل أن تشرق شمس الصباح .  
وقد انصرفت فى هدوء بقدر ما استطعت . فهل  
أزعجتك ؟ يهمنى أن أعرف .
- جراندير : لست أذكر . لماذا يهملك ذلك ؟
- فيليب : إنك لاتذكر .  
( تضحك ضحكة مفاجئة مذهلة جافة ) .
- جراندير : سيرى معى إلى الكنيسة .
- فيليب : لا

- جراندير : حسنأ. جداً .
- فيليب : ليست بي حاجة إلى كرسي الاعترا ف لأقول  
ما أريد أن أنبئك به . إني حامل  
( صمت )
- جراندير : هكذا انتهى الأمر .
- فيليب : أنا مذعورة .
- جراندير : بالطبع . كيف يكون لي طفل ؟
- فيليب : أنا مذعورة جداً .
- جراندير : كانت في حبنا جرأة شديدة ، أليس كذلك  
يا فيليب ؟ في خلال ليالى الصيف جميعاً . لشد  
ما كان بعدنا عن الخوف في كل مرة اختلطنا معاً .  
كنا نضحك ونحن نشر في أنفسنا الروح الحيوانى .  
هل تذكرين ؟ والآن يלתهمنا هذا الحيوان !
- فيليب : أعنى .
- جراندير : وكان كل منا خلاصا للآخر . هل كنت حقاً  
أعتقد في إمكان ذلك ؟
- فيليب : إني أحبك .
- جراندير : نعم لقد آمنت بذلك . وأذكر أنني تركتك ذات  
يوم — وكنت بارعة بدرجة غير عادية —

فيليب : يا إلهي !

جراندير : وقد امتلأتُ بتلك الثقة البذيئة التي تعقب الوصال

الكامل - وطراً لي وأنا منصرف - نعم طراً لي وأنا  
في وقاري - إن الجسم يمكن أن يجاوز الغرض  
منه . يمكن أن يبلغ من الطهر ما يجعله معبوداً إلى  
أقصى حدود الخيال . كل شيء جائز . وكل شيء  
حق . ومثل هذا الكمال يؤدي إلى فهم حالة الوجود  
المقوته .

فيليب : لامسني

جراندير : ولكن إلى أي شيء صار الجسم ؟ هل هو

كالبیضة . هل امسى مصدرا للملل وللنفور  
والاشمئزاز . إلى هذا انتهى

فيليب : واين الحب ؟

جراندير : نعم ، اين هو ؟ اذهبي الى ابيك . اخبريه

بالحقيقة . ودعيه يجد لك رجلاً طيباً . انهم  
موجودون .

فيليب : اعني

جراندير : كيف استطيع معونتك ؟ نخذي يدي . هذه هي .

كأنك تمسين ميتاً . اليس كذلك ؟ رافقتك  
السلامة يا فيليب .

(جراندير ينصرف)

(الصيدلية - آدم ومانورى والاب منيون  
الاب بارى يصيح صيحة جافة وهو يظهر فى  
اعلى السلم . يقبل وكأنه مخمور ويتفرق  
الاخرون مذعورين )

بارى : منعونى من دخول الدير هذا المساء . منعنى  
حراس مسلحون

منيون : يا الهى ، يا الهى ، ماذا جرى ؟

بارى : اصدر كبير الاساقفة امرا شرعيا يحرم اخراج  
الشياطين ويحرم التحرى بعد اليوم .

منيون : اطلاقا !

بارى : فعل ذلك استجابة لرجاء دى سيريزاى  
ودارمنياك . وما هو ادهى من ذلك ان الطبيب  
الخاص لكبير الاساقفة - ذلك الرجل الاحمق  
الذى يؤمن بحكم العقل - استولى على النساء بغير  
علمى . فحصبهن ، وابدى رأيه بانه ليس هناك  
تلبس حقيقى



مليون : وماذا عسانا فاعلون ؟ عجباً . ماذا عسانا فاعلون ؟

· (بارى يهبط إلى الغرفة)

بارى : يرى دى سريزاي ذلك عملاً من أعمال العدالة . وهو لا يدرك ان امثال هذه الامور تقع مباشرة فى ايدى الشيطان . فانك ان سورك شك معقول فى ارتكاب خطيئة انسانية ، خف الشيطان إلى الاغواء . (يصيح مكدودا) لا يمكن ان يكون فى ارتكاب الاثم شك معقول . اما كل شيء او لا شيء

مليون : طبعاً ! طبعاً ! ليس للعدالة شأن بالحللص . اجلس . اجلس .

بارى : ان عمل حياتى يهدده اسقف كبير فاسد ، وطبيب متحرر ، وقانونى جاهل . آه ايها السادة . سوف يسعد الجحيم هذه الليلة .

(صمت)

مانورى : هل قضى علينا اذن ؟

آدم : يظهر ذلك

مانورى : انتهى كل شيء

- آدم : رباہ
- مانوری : یا للاسف
- مניون : دعنا نصلي
- آدم : ماذا قلت ؟
- منيون : دعنا نصلي
- آدم : من اجل ماذا ؟
- منيون : دعني افكر —
- آدم : لقد اصببت
- منيون : اعرف ذلك
- آدم : ثم ماذا ؟
- منيون : دعنا ندعو الله ان يصيب كبير الاساقفة برويا شيطانية —
- باري : (لمانوري) سوف اعود إلى أبرشيتي
- منيون : (لآدم) .... رويًا شيطانية مفرعة ....
- باري : (لمانوري) عندي عمل هناك
- منيون : (لآدم) وهو كذلك رجل عجوز . ربما استطعنا ان نروعه حتى يموت
- باري : الزم الصمت يا منيون . انما انت تهدي
- منيون : لا تتخل عنا

بارى : لا مناص من ذلك  
 منيون : من الطبيعى ان تضايقت هذه النكسة . ولكننا  
 سوف نجد منها مخرجا .  
 بارى : كلا . فان امر كبير الاساقفة يجعل الشر مستحيلا  
 فى هذا المكان فى الوقت الحاضر . ولكن الامر  
 لا ينطبق فى ابرشيتى ، وثق ان الشيطان يدق  
 الطبول هناك داعيا . ولا بد ان اجيب الدعوة  
 منيون : سوف نفتقدك كثيرا جدا .  
 بارى : ان همسة واحدة من الجحيم تردنى اليكم  
 يا صديق العزيز

(دارميناك وسيريزاى على المائدة . يقترب منهما  
 جراندير بشكل رسمى)

جراندير : اعتقد انه لا بد لى من ان اشكر يا سيريزاى  
 لانك عملت على ايقاف هذا الاضطهاد . اننى  
 افعل ذلك الآن .

دى سيريزاى : فعلت ذلك نيابة عنك ايها الاب . غير انى لم  
 افعله من أجلك وحدك . ان السرك المقام فى  
 الدير قد بدأ يجتذب فى المدينة قدرا كبيرا من  
 الانتباه الذى لا نرحب به . ومن واجبي ان  
 احتفظ بشىء من النظام فى المكان .

دارمنياك : انك لا تسهل الامور لاصدقائك يا جراندير .  
لقد اخبرني ترنسانت بقصة ابنته . عندك  
العاهرات . لماذا فعلت ذلك ؟

جراندير : كان ذلك احدى الطرق

دارمنياك : الطرق إلى ماذا ؟

جراندير : كل امور الدنيا لها غرض واحد لرجل مثلى .  
السياسة ، والسلطة ، والحواس ، والثراء ،  
والفخر ، والنفوذ ، اننى انتقى منها بنفس العناية  
التي تنتقى بها أنت يا سيدي سلاحك . ولكن  
هدفى مختلف . اننى اريد أن اصوبه إلى نفسى .

دارمنياك : لكى تجهز على نفسك ؟

جراندير : فانى فى حاجة شديدة إلى الاتحاد بالله . ان العيش  
قد اعتصر منى الحاجة إلى الحياة . وقد آلت  
قدرة الحواس عندى إلى الانهاك المطلق . انما  
انا رجل ميت مرغم على العيش .

دارمنياك : انك تنفرنى . انما هذا مرض .

جراندير : كلا يا سيدي انما هو المعنى والغرض

دارمنياك : لست ممن يجادلون بسفسطة . ولكن قل لى : اننى

ارى آن القضاء على النفس بشكل قاطع ظاهر  
ليس من الامور المحللة . ولكن اليس خلق  
ظروف موتك - وهو ما تفعل انت فيما يظهر -  
كذلك من الالم ؟

جزاندير : اترك لى شيئا من الامل

دارميناك : الامل فى ان يبتسم الله من جهودك فى خلق عدو  
يبلغ به الشر ان يتزلزل ، ومن ثم يرفعك - إلى  
اعلى ؟

جزاندير : نعم

دارميناك : بين يدى خطاب من باريس . انه يسعدك . انك  
فى تأييدك لموقفى فيما يتعلق بالحصون خلقت  
عدوا ممتازا . ريشيليو . ان الملك يقف حتى الآن  
إلى جاننى ضد الكاردينال . ولكن الملك لو  
فشل أو تردد انهارت هذه المدينة . وربما حققت  
امنيتك لانك مشتبك فى الامر اشتباكا عميقا .  
ولكنى - برغم ذلك - سوف استمر فى  
حمايتك مما اعتقد انه طريق مروع جدا ،  
وفلسفة جد كافرة .

جزاندير : هذا ما ابغى يا سيدى . لا تكف يدك عنى .

فكر في حقيقة الأمر. انني ابلغ نهاية نهار طويل.  
اشعر بالدفء والشبع ، والاطمئنان . واقصد  
بيتي . وفي طريقي المبح غربيا في الجانب الآخر  
من الشارع ، وربما كان طفلا . واحي صديقا .  
وارقد متطلعا إلى وجه امرأة نائمة . انني ارى  
هذه الاشياء في عجب وفي أمل . ثم اسأل نفسي .  
هل يمكن ان يكون ذلك هو الوسيلة إلى غايتي ؟  
بيد أن ذلك يُنكر على .

(يخفي جراندير فجأة وجهه بين راحتيه )

يا الهى ! يا الهى ! ان كل شىء يخيب رجائي

دارمنياك : هل انت خائف يا جراندير ؟

جراندير : نعم ، نعم ، نعم . انا مخذول

(حديقة الدير . جان و كلير تجلسان على دكة .

لويز وجبرائيل على الارض عند قدميهما

اخذتا مجهولتان تقفان قريبا . صمت رهيب)

لويز : ماذا عسانا فاعلون يا أمي ؟

جان : فاعلون ؟

لويز : ان الناس يسحبون اطفالهم منا

جان : ومن يلومهم على ذلك ؟

كلير : ليس من يعين . علينا ان نقوم بكل اعمال البيت  
... بانفسنا ، وهو شاق جدا .

جان : (تضحك فجأة) لماذا لا تطلبين إلى الشياطين  
ان يعيروك يدا ؟

كلير : اماه

جبرائيل : لقد قمت ببعض الغسيل وبعض الحياكة .  
لعلك لا تعترضين يا امي

جان : انت فتاة عاقلة . اذا كان الجحيم يتخلى عن  
المعونة فعلى المرء ان يلجأ إلى العمل الشاق ،  
أليس كذلك ؟

جبرائيل : اعرف انك لم تحبي لنا قط ان نقوم بالاعمال  
الوضيعة

جان : قلت ان ذلك يهبط بالنساء اللائى ينخرطن فى  
سلك مهتنا (تضحك) .

الم اقل ذلك ؟

جبرائيل : اجل

(صمت)

لويز : اماه —

- جان : نعم ، بنيتي ؟
- لويز : لماذا حرم كبير الاساقفة على الاب بارى ان ياتى لزيارتنا بعد ذلك ؟
- جان : لانه قيل لكبير الاساقفة اننا نساء حمقات مخدوعات .
- لويز : اماه —
- جان : نعم ؟
- لويز : هل اذنبنا ؟
- جان : بما فعلنا ؟
- لويز : نعم ، هل سخرنا من الله ؟
- جان : لم اقصد ذلك .

ولكننا سخرنا من «الانسان» . وهذا امر آخر !  
 انه مخلوق عجيب ، يدعو إلى السخرية . وربما لم يخلق الا من أجل ذلك . شامخ برأسه منتش بعمله ، مما يدعو إلى الاستخفاف به . مستغرق في اختراع معبودات زائفة يبرر بها وجوده . فيصم اذنيه عن الضحك . ولا يرى بعينه شيئا الا نفسه ، فهو أعمى عن شارات السخرية التي يُلَوِّح بها في وجهه .



وهكذا يسير مخمورا ، أعمى وأصم . نخب  
موضوع للتفكير العملي . وهنا يا اخوتي يجد  
الأبناء التعسفين من امثالى مجالا لأداء ادوارهم .  
اننا لا نسخر من ابينا المحبوب فى السماء . اننا  
نحتفظ بضحكائنا نوجهها الى ابنائه التعسفين  
المدنبيين الذين يرتفعون عن مستواهم ويعتقدون  
ان لهم هدفا آخر فى هذه الدنيا غير الموت .  
بعد أوهام السلطة تأتى أوهام الحب . عندما يعجز  
الانسان عن التحطيم يبدأ فى العقيدة بانه يستطيع  
الحلاص بالتسلل الى زميل له فى الانسانية .  
وهكذا يخلد نفسه . انه لا يفتأ يكرر قوله :  
احبنى ، احبنى . اعزنى ، احمى . انقذنى .  
انه يقول ذلك لزوجته ، وعاهرانه ، واطفاله ،  
وبعضهم يقول ذلك للجنس البشرى كله .  
ولا يقولون ذلك لله قط . وربما كان هؤلاء  
اشد مايدعو الى السخرية وأكثر من يستحق  
الازدراء . لانهم لا يدركون مجد الفناء ، هدف  
الانسان العزلة والموت .  
هيا بنا ندخل .

فوق الحصون . فى المساء

(دار منياك ودي سيري زاي يدخلان من جهتين :  
مختلفتين . متلفعان وثقاية من المطر . ويصيحان  
ليسمع صوتهما خلال الرياح العاصفة )

دي سيري زاي : دار منياك . أنت هنا ؟

دار منياك : لقد سقط الفارس عند المدخل . ووجدوا هذه  
الأوراق مبعثرة

دي سيري زاي : ماذا تحوي ؟

دار منياك : لقد تراجع الملك في كلامه . وانتصر ريشيليو .  
ولابد من ذلك حصون المدينة . وسوف تصبح  
مكانا صغيرا . ولن يتجاوز نفوذى سلطان التاجر .  
( يظهر جراندير بعيدا من أسفل )

دار منياك : هل هذا هو القسيس ؟

دي سيري زاي : نعم هو ( يصيح ) جراندير !

دار منياك : انه سوف يعانى ( يصيح ) جراندير !

جراندير : ما هو الأمر ؟

دار منياك : لقد تحرك الكاردينال ضدنا

دي سيري زاي : فقد الملك اعصابه

دار منياك : كل هذا لا بد أن يدك

دي سيري زاي : واسمك وارد —

دار منياك : لن تلبث هنا طويلا .  
 دى سيري زاي : بذكروا عنك المقاومة  
 دار منياك : انت في خطر  
 جراندير : شكرا لك  
 دار منياك : ماذا تقول ؟ لا أستطيع ان اسمعك . هل انت  
 مجنون ؟ هل هو مجنون ؟ دعنا نهبط  
 ( دار منياك وسيري زاي ينصرفان . جراندير  
 يركع . والرياح تعصف والامطار تنهمر من حوله )  
 جراندير : أبانا في السماء : لقد استرجعت القوة لاعدائي ،  
 والامل لابنك المذنب . انني اسلم نفسي إلى  
 أيدي الدنيا . مطمئنا إلى الايمان بطرقك الخفية .  
 لقد جعلت الطرق ممكنة . وانا ادرك ذلك  
 واقبله . ولكنك تعمل خلف ستار من الجلالة .  
 وأنا أخشى ان أرفع عيني وانظر . اكشف لي  
 عن نفسك . اكشف لي عن نفسك  
 ( يتلاشى صوته )  
 سكون

( دى نوبارد منت ومنيون )

اوبارد منت : يجب ان نعمل بسرعة

- مانيون : نعم ، نعم
- لوباردمنت : يجب ان أرحل الى باريس هذا المساء
- مانيون : بهذه السرعة ؟
- لوباردمنت : هل يمكن أن يتم العمل في هذه الفترة ؟
- مانيون : يجب ان نحاول
- لوباردمنت : قلب أفكارك في الموضوع
- مانيون : كنت اطلع على الموضوع وصادفتني قضية جوفريدي . في مرسيليا منذ عشرين عاما . هذا القسيس سحر كثيرات من ارسولين وفسق بهن
- لوباردمنت : لسنا بحاجة الى سوابق . نريد النتائج . هنا وفي هذه اللحظة استدعيهن
- ( مانيون يسوق جان أمامه . تتبعهما كاير ولويس وجبرائيل ، والاختين المجهولتين ويقف لوباردمنت جانبا )
- مانيون : ايتها الاخوات المحبوبات في المسيح . لست سوى رجل عجوز غافل لم يعد امامي فوق هذه الأرض وقت طويل انفذ فيه ارادة الله —
- لوباردمنت : هيا . ادخل في الموضوع .
- مانيون : بنياتي . هل تثقن بي ؟
- جان : بالطبع يا أبي

- منيون : هل تثقن بى معلما روحانيا ؟
- جان : دائما
- منيون : حسنا . اننى فى شدة الازعاج من هذا التوقف المفاجئ للظواهر الشيطانية فيكم . وهم يروون فى المدينة وفى اقاصى الريف قصصا مفرعة . يقولون إنكم لم تكن فعلا متلبسات بالشياطين . بل كنتم تمثلن وتمثلن وتستهنين بمكانتكن الرفيعة ، كما تستهنين بمن هم اعلى منكم مكانة فى الكنيسة .
- جان : هذا ما انبأنا به طبيب كبير الاساقفة . تحدث عن الهستيريا . وعن صيحة الارحام
- منيون : وكان من واجبك باعتبارك امرأة طيبة ان تبرهنى على خطئه . ارجو ان تؤكدى لى ان الامر صادق . وانكن متلبسات
- جان : كان الامر صدقا . كنا متلبسات بالجحيم
- منيون : ومن كان الباعث ؟ من كان الساحر المخادع ؟
- جان : جراندير ! جراندير !
- الانخوات : جراندير ! جراندير !
- منيون : ولكنى الآن اخشى عليكم بشكل آخر . ان

الدلائل كلها ضدكن وضنفت الشياطين يديكن  
( صمت )

منيون : . : افلا تزين انهم (١) لا يتكلمون . ليس هناك  
ما يثبت فضيلتك . آه ايتها الاخوات ، هذا  
السكون ينذر بلعتكن الى الابد . كم اخشى  
عليكن . انى وجل . اذا تخلى عنكن الله وتخلي  
عنكن الشيطان وقفن في الارض المجهولة حائرات  
الى الابد . أتوسل اليكن ان تتذبرن الموقف .

جان : ابني . اننا خائفات  
منيون : وحق عليكن الخوف يا بني .  
جان : لا تتخل عنا  
منيون : ماذا أستطيع أن افعل غير ذلك . سأصلي من  
اجلكن

( منيون يتجه نحو لوباردمنت )

لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) هل لي ان أقول  
كلمة ؟

منيون : حمدا لله . ما اسمك ؟

لفاياتان (٢) : لفاياتان

---

(١) يقصد الشياطين

(٢) احد الشياطين اللذين تتلبس بهم جان وهناك شياطين اخرى ترد  
اسماؤهم فيما بعد .

- مليون : : : أين تسكن ، أيها الشيء غير المقدس ؟
- لفاياتان : : : في جبهة السيدة . . .
- بهريت : : : ( يتحدث عن طريق جان ) أنا في معدة المرأة .
- واسمي بهريت . . .
- ايزاكرون : : : ( يتحدث عن طريق جان ) انا ايزاكرون الذي
- اتحدث ، من تحت الضلع ، اليسر الأخير
- بلايمي : : : ( يتحدث عن طريق كلير ) أنا هنا ( صوت
- آخر ) وأنا
- ايزاز : : : ( يتحدث عن طريق لويز ) وأنا ( صوت آخر )
- وأنا هنا
- ( ضجيج من اصوات شيطانية . ضحكات
- استهزاء . أصوات كاصوات الخنازير .
- صراخ . عواء )
- ( دى لوباردمنت يتحرك الى مليون )
- لوباردمنت : : : حسنا ما فعات . ولابد ان يعود بارى من
- شئون . ويجب ان يبدأ في اخراج الشياطين
- فورا . وعلنا . بحضور ممثل البلاط . وعليك
- تنفيذ ذلك .
- مليون : : : افتحوا الابواب . افتحوا الابواب
- ( جمهور كبير من الناس يتدفق في القصر .

رجال ونساء من المدينة . عامل -البحاري . آدم  
وماثوري . ثونسانت . قزم . مخلوق . طبال .  
نساء ضاحكات . كلاب . واطفال يتسلقون  
الى مواقع ممتازة يشاهدون منها .

من اسفل : الاخوات يقمن بحركات عجيبة .  
جان على يديها وركبتيها تشم الأرض . وكبير  
ترفع طرف رداثها فوق رأسها وتعرض نفسها  
في مشية كثيبة . اما لويز وجبرائيل فتلتصقان  
في عناق . ويكونان شكل حيوان . وعنهن  
جميعا تصدر صيحات شيطانية خشنة كأصوات  
الذكور : اصوات غير واضحة ، مختنقة ،  
ضارعة ، خليط من فحش القول . وسرور  
أهل المدينة بالغ . يلوح بعضهم لبعض بإشارة  
ثم عن السرور الشديد . وبعضهم يحث الاخوات  
على المبالغة . وتشير الاعجاب اخت مجهولة ،  
خفيفة الحركة كأنها بهلوان . وقد انكبت جماعة  
على الطعام والشراب واخذت تراقب مايجرى ..  
الاجراس تجلجل من فوق قمة برج كنيسة  
القديس بطرس

يدخل باري دخول الظافرين . حاملا صليبا من



الذهب مرصعا بالجواهر في اعلاه تمثال المسيح  
وهو مصلوب . الصليب يتلوى ويلمع بين  
يديه المرتعشتين . ويقبل رانجير من طريق آخر ،  
وثلاثة رهبان من دير الكرمل من جانب آخر .  
ويقرب منيون منهم . ويجمعون جمعا ) .

بارى	: بعثم في طلبى
منيون	: نعم ، نعم
بارى	: هل انتصر الخير ؟
منيون	: نعم ، لقد انتصر
بارى	: ان دى سيريزاى —
منيون	: باه !
بارى	: ودارمنياك —
منيون	: قدارة !
بارى	: هل هما هنا ؟
منيون	: كلا
رانجير	: لا يجرؤون على اظهار وجوههم
بارى	: نصرة الخير . كم أحب هذه الكلمات .
	ساقولها مرة اخرى : انها نصرة الخير
	( اخت مجهولة تخدش الأرض بيديها عند قدمي
	بارى )



باری : منیون . آتی بالماء ، و کتاب القداس ، و قمصان .

. الكهنوت ، والوعاء المقدس ، وظفر القديس .

وقطعة من الصليب الحق . واملنى بها جميعا .

منیون : الاسلحة الربانية . هذه هي

. ( رهبان الكرمل ياتون بهذه الآثار ويرتبونها )

باری : لا بد ان استعد

(باری یخر علی رکبتیه ویصلی . الجمهور یصمت .

یدخل هنري دی کندی . یستند الی ولدان .

مصبوغین بالالوان وكأنه من قوم لوط .

رجل فخیم انیق . ینظر الی باری لحظة . ثم یتکلم )

دی کندی : لست ارید یا أبی العزیز ان ازعجک فی صلواتک .

ولا أقول قط ان فردا من الاسرة المالكة یتقدم

علی الله ..... ولكن ....

باری : ( وقد نهض علی قدمیه ) انا فی خدمتک یاسیدی

دی کندی : شکرا . أعتقد ان هؤلاء هن النساء الهاذیات

باری : کلهن متلبسات بشیطان او اکثر

دی کندی : والباعث رجل من شعبک

باری : نعم . انه قسیس

دی کندی : لا یبدو علیک السرور

باری : السرور ؟

دى كندى : لا عليك من هذا

بارى : لو اخذت مكانك ياسيدى شرعت فى العمل

دى كندى : حسنا

( يتجه دى كندى الى مكان معد عن كُتب  
ويجلس شاخصا الى المنظر . والولدان يلعبون  
من حوله كالفراش . وقد بات الاخوات  
مكدسات فى غير نظام ، مكدودات ، وكأنهن  
من سقط المتاع الملقى على الارض . بارى يرتدى  
عباءته ويستعد بمعونة منيون ورائجير .  
يجذب دى كندى احد الولدان اليه )

دى كندى : هؤلاء نسوة يا عزيزى . حديق بيسرك . وتقياً

ان اردت . منهن ولد الانسان . اشياء مقرزة .  
قدرة . انهن كالارض التى تنبت . ان البيض  
يفقس الصغار فى الروث . لاتلو انفك الصغير  
ياحبيى المدلل . خذ هذا العطر . بعض الرجال  
يحبونهن . القسيس جراندير على سبيل المثال .  
لقد التقط اللحم من الحساء . انه (دى كندى  
يهمس فى اذن الصبى . تتسع عينا الصبى .  
يضحك دى كندى . بارى يتقدم )

بارى : إأذن لى ياسيدى ان ابدأ

- كندى : ابتدء :
- بارى : عندى أولا تصريح أريد أن القيه . هذا يا سيدى -  
 ( يرفع القدح ) - يحتوى على القربان المقدس  
 ( يضع بارى القدح على رأسه ويركع )
- بارى : أبانا فى السماء . اللهم أصبني بالخزي وانزل بى  
 لعنة داتان وابيرام إن أنا فى هذا العمل اذنبت  
 او ارتكبت اى نوع من انواع الخطأ .
- دي كندى : اشارة حميدة جدا . برافو  
 ( بارى ينهض ويتجه نحو جان )
- بارى : لفاياتان . لفاياتان
- لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان . ويغلب عليه النوم )  
 اعزب عني
- بارى : تيقظ
- لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) انك تضايقتنى
- بارى : باسم سيدنا يسوع المسيح —
- لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) لاتقحم اسم هذا  
 الدجال فى المحادثة
- بارى : انه يزعجك . ايه ؟
- لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) اننى لا احتمل  
 الحمقى مسرورا . كل ذلك الحديث عن المحبة

له اثر مخدر للنفوس . ولم يكن: الرجل فوق ذلك  
مهذبا..

دى كندى : ايها الاب المقدس —

بارى : نعم ، سيدي

دى كندى : لاحظ. انك لا تخاطب هذه المخلوقات باللاتينية ،  
كالعادة ، فلماذا ؟

بارى : انهم لا يتحدثون هذه اللغة . وارجو ان تعلم  
يا سيدي ان من الشياطين المتعلم وغير المتعلم  
دى كندى : تماما

لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) انى لم اسافر كثيرا  
( ضحك عميق ، وتعقبه الشياطين الاخرى )

بارى : استمع الى ، ايها القدر —

لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) : أنت دائما تنادى  
الاشخاص بأسمائهم

بارى : ساذكر لك اسما . جراندير !

لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) هذا صوت حلو .  
اعده على مسمعى

بارى : جراندير !

لفاياتان : ( يتحدث عن طريق جان ) نعم انى احبه

بارى : هل تعرفه ؟

لفایاتان : (یتحدث عن طریق جان) نحن نخدمه . آلیس كذلك ؟

زابلون : (یتحدث عن طریق کلیر) نعم  
ایزاکارون : (یتحدث عن طریق جان) نعم نخدمه ، نعم نخدمه  
بهریت : (یتحدث عن طریق جان) جراندیر ! جراندیر !  
بازاز : (یتحدث عن طریق لویز) آه یاحبیبی ، یاعزیزی ،  
امسکئی ، خذ — خذ — آه

زابلون : (یتحدث علی لسان کلیر) جراندیر ! جراندیر !  
بهریت : (یتحدث علی لسان جان) جراندیر ! جراندیر !  
بازاز : (یتحدث علی لسان لویز) جراندیر ! جراندیر !  
لفایاتان : (یتحدث علی لسان جان) جراندیر ! جراندیر !  
(الارواح الشريرة فی لفظ)

باری : لیتحدث أحدکم نیابة عنکم جمیعا .  
(رانجیر و منیون یسیران وسط الاخوات یرشان  
الماء المقدس فتتلاشی تدریجیا الصیحات والاصوات  
المرتفعة)

دی کندی : هل استطیع ، ایها الأب ، أن أوجه السؤال الی  
هذه الاشیاء ؟

باری : بکل تأکید یا سیدی

( رانجير و منيون و رهبان الكرم مل يدفعون الأخوات  
البائسات الى الامام حتى يقفن في صف تجاه  
دى كندى ، الذى يحدق فيهن بازدراء )

دى كندى : ( موجه الخطاب الى الاخوات ) ايها السادة (١)  
لقد ابديتم لنا آراءكم في صفة المخلص المبارك  
وقيمته ( همس من الشياطين ) . ايكم يجيبني  
في موضوع ليست له الا أهمية قومية ؟

بهرت : ( يتحدث على لسان جان ) سأحاول

دى كندى : ستحاول ؟ حسنا . ما اسمك ؟

بهرت : ( على لسان جان ) بهرت

دى كندى : اسمع يا بهرت . اجبني عن هذا . ما رأيك في  
جلالة ملك فرنسا ومستشاره الكاردينال العظيم ؟

( صمت )

دى كندى : هيا . لا بد ان تكون لك بعض الآراء باعتبارك  
شيطانا سياسيا . أم هل تجد نفسك في المأزق  
الذى تجد نفسها فيه أكثر احزاب المعارضة ؟  
اذ لا بد لك ان تتحدث بأكثر من صوت .

بهرت : ( يتحدث على لسان جان : متمما ) لست افهم

---

(١) الخطاب هنا للشياطين الساكنين في الاخوات



دی کندی : بل تفهم جيدا . اذا انت اثبتت يا بهريت على الملك ووزيره فانت تتسامح وتعني ان سياستهما جهنمية واذا انت يا اخي جان هجوتهما فانت تخاطرين بالحياة ضد رجلين قوين . اني اعطف على موقفك الصعب . ابني باري —

(باري يتقدم بينما يتناول دي كندي صندوقا صغيرا من أحد الوالدان)

دی کندی : عندي هنا اثر له اعظم قيمة مقدسة . اعارثني اياه كتدراية كبرى في الشمال . وانا اشعر ان هذه الاجزاء والقطع التي جمعتها من مصادر محلية قد لا تقوى على تشتيت هذه الشياطين الوقحة . لماذا اذن لا تجرب هذا .

باري : ماذا بالصندوق ياسيدي ؟

دي كندي : قارورة من دم سيدنا يسوع المسيح

(باري يتناول الصندوق بين يديه باحترام ويقبله)

دی کندی : خبرني يا ابني . أي أثر يكون لاقتراب هذا

الاثر قربا شديدا على امثال هؤلاء الشياطين ؟

باري : انه يرغمهم على الفرار

دی کندی : في الحال ؟

باري : فورا . ولكني لا أضمن — بالطبع — الا يعودوا

اذا أزيل الأثر

دی کندی : بالطبع لا تضمن . اننا نتطلب الكثير اذا توقعنا  
منك ذلك . هل تريد ان تجرب ؟

( باری يتقدم نحو جان )

باری : باسم ابينا في السماء ، أناشدكم ، أيتها الكائنات

المفرعة ، ان ترحلوا ، بفعل هذه المادة المقدسة .

( باری يضع الصندوق على جبين جان . فترحل

الشياطين عن جسدها في الحال ، عن طريق

فمها المشوه ، وهي تصرخ عدة صرخات .

صمت . ثم تنهض جان منتصبة وتتكلم في

هدوء ، في صوت فتاة صغيرة ، وبشخصها ) .

جان : لقد تحررت ، لقد تحررت

( تتجه الى دي كندي . تركع ، وتلم يديه )

دي كندي : ما اشد سروري لاني اديت خدمة يا سيدتي

باری : (منتصرا) رأيت !

( دي كندي يتناول الصندوق من باری ،

ويفتحه ، ويقلبه ، فاذا به فارغ )

دي كندي : رأيت يا أبي ؟

باری : ( بعد لحظة ) آه سيدى . ايه حيلة لعبت على ؟

دي كندي : بل اية حيلة تلعب انت علينا ؟

( يسود الرجلين صمت . يبتسم دي كندي .

الجمهور صامت . النساء مفزوعات . منيون  
يشق السكون في لحظة . يجري في دوائر صغيرة  
ممسكا برأسه الصغير بين راحتيه )

لفاياتان : ( يتحدث على لسان منيون ) اخديعة اخرى ؟  
بهرت : ( على لسان منيون ) ابتعد

( منيون يصيح ، بينما بهريت يدخل عنوة . ويبدأ  
رانجير فجأة في الصهيل كأنه حصان ، ويرقص  
في رشاقة . ويتقدم ليعرض نفسه . وتبدأ  
الاخوات في الصراخ والعيول وقد احسن  
بالعطف . وتهب إحداهن نفسها لرانجير في  
فحش ، فيمتطيها . ولا تبقى سوى جان وحيدة  
ساكنة . ويبدأ صبي الى جوار دى كندى في  
الضحك الرنان بصورة هستيرية . ويسود  
الجمهور اضطراب . وتحل الشياطين بامرأتين .  
يتطلع بارى حواليه في فزع . ثم يلوح بالصليب  
كأنه عصا ، ويغوص بين الشياطين المحيطة به ) .

بارى : انا محاصرون . اخلوا المكان فوراً .

( رهبان الكرمل يطردون الاخوات ومنيون  
ورانجير وهما يرقصان ، على عجل ، والحراس  
يشتتون الجمهور ويمر بارى وسط الناس ، ويمس  
بصليبه من به مس ومن ليس به مس ، ويصيح )

.... per factorem mundi, per eum  
qui habet potestatem mittendi te in  
gehennam, ut ab hoc famulus Dei,  
qui ad sinum Ecclesiae recurrit,  
cum metu et exercitu furoris tui  
festinus discedas. (1)

(يبتعد رانجير ومنيون والاخوات ، ويعقبهم  
بارى . ويقصد الناس بيوتهم وهم يتشاءبون .  
ولا يزال الصبي الواقف الى جوار دى كندى  
يضحك حتى تسيل من عينيه الدموع ) .

دى كندى : ( باسم ) اسكت ايها الصبي  
( دى كندى يحدق فى جان التى تقف امامه ،  
وحيدة ، على مبعدة منه )  
كثيرا ما يتهمونى بالفسق يا امى . حسنا .  
لما كنت من ابناء الأسر الرفيعة فانه لا بد لى من  
الانحناء أكثر من غيرى من الرجال . اننى  
اعرف — وانا ملوث مبتل — ماذا انا فاعل ،  
وما ينبغى لى أن أعطى . فمن رأى أن تنالى بغيتك  
من هذا الرجل جراندير ، حيث انى اعرف  
كيف يسير العالم . ولكن هل تعرفين ما ينبغى

---

(1) ومعناها بالعربية : بسلطان خالق الكون ، بسلطان ذلك الذى له القدرة  
على ارسالك الى جهنم لكى تهجر هذا الخادم الربانى الذى ياوى الى المكان  
الخفى فى الكنيسة وقد أسرع بك غضبك وصاحبك هلك وحشدك .

لك ان تعطى ؟ ( عرضا ) روحك الخالدة إلى  
اللعنة في صحراء لا متناهية من الهمجية الابدية .  
( دى كندى والولدان ينصرفون .

كلير ولويس تدخلان منفصلتين عن جان .  
( اصوات مرحة )

: لم افلح قط في صلاتي

: ولا أنا

: كان بوسعنا ان نقضى حياتنا ركعا

: دون ان يسمع بنا أحد

: إنهم يبيعون صورتي في المدينة .

: إننا مشهورات في جميع ارجاء فرنسا

: هل لا زلت متزعجة من اللعنة التي أصابتك ؟

: كلا لم تعد اللعنة تزعجني

: لم يحدث ذلك منذ ما سمعت الاعجاب بساقيك  
الحميلتين

: حبيبة قلبي ، فيم تفكرين الآن وانت في المعبد ؟

: في هذا وفي ذاك ، في وسائل جديدة .

: مما يمتع ؟

: نعم ( جرس ) هيا .

( تتصرفان وهما تضحكان . تقف جان صامتة

برهة ، ثم : )

كلير

لويز

كلير

لويز

كلير

لويز

كلير

لويز

كلير

لويز

كلير

لويز

كلير

لغاياتان : ( على لسان جان ) طهرى عقلك من الزندقة ،  
أيتها المرأة ذات الحلقة الغريبة .

جان : انا خائفة .

لغاياتان : ( على لسان جان ) كلام فارغ . اننا نؤيدك فى أى  
عمل تقومين به .

جان : أريد أن أكون طاهرة .

لغاياتان : ( على لسان جان ) ليس هناك شىء اسمه الطهارة

جان : رباه ، رباه ، كلا ، بل هناك .

( ترتفع أصوات النسوة من المعبد المجاور ) .

لغاياتان : ( على لسان جان ) كلا ليس هناك . تفكرى

يا عزيزتى وتذكرى رؤى الليل . هو — —

( ضحكات فاحشة ) . أوه ، ذلك الشىء —

وانت متفتحة — كلا ، كلا يا عزيزتى .

ليس هذا طهراً ، بل ولا كرامة . فيم تفكرين ؟

ليس فكرك كله دنس ، بل كله سخيف .

هل تذكرين ؟

( تبدأ جان فى الضحك . يشاركها لغاياتان .

ظلام ) .

مجلس الولاية فى المساء .

( لويس الثالث عشر ، ريشيليو ، الأب جوزيف  
ولا فيريير وزير الدولة .  
دى كندى منغل .

دى لوباردمنت يتقدم ويخاطب المجلس . يقف  
إلى جانبه كاتب ، يسلمه أوراقا لها بالموضوع  
صلة بين الحين والآخر ) .

لوباردمنت : صاحب الجلالة . صاحب الفخامة . طلبتم إلى أن  
”أقدم تقريراً عن حالة التلبس في لودان . اسم  
الرجل أربان جراندير .

دى كندى : انه برىء .

( الرجلان يوجهان الخطاب إلى المجلس ) .

لوباردمنت : أشار على القسيس في تلك الناحية ورجال الطب  
المشهورون بأن التلبس حقيقى .

دى كندى : وأنا كذلك كنت هناك . الرجل برىء .

لوباردمنت : أُجرى البحث في بيت جراندير فوجدت به  
مخطوطات متنوعة . وجدت به رسالة كتبت  
منذ بضع سنوات موجهة إلى فخامتكم . وهناك  
أوراق أخرى تؤيد تعضيد جراندير لدارميناك  
في موقف التحدى الذى يقفه بشأن حصون المدينة .  
وهو الموقف الذى أغضبكم كثيراً يا صاحب

الجلالة . ووجدت أيضاً رسائل ومذكرات ذات صبغة شخصية. وجدت رسالة عن «عزوبة رجال الكهنوت» . والظاهر أن الرجل كان في حالة عشق عندما كتب هذه الرسالة . ويُروى أن زواجا سوريا تم مع إحدى بنات النائب العام . ووجدت كذلك رسائل من نسوة أخريات ، والظاهر إن إحدى هذه الرسائل تشير إلى أنه قد ارتكب الحدث الأكبر في الكنيسة .

دى كندى : من أجل محبة المسيح أقول لكم إن أردتم أن تهدموا الرجل فلتهدموه. لم آت هنا لأشفع له في حياته. بيد أن وسائلكم مخجلة . إنه يستحق خيراً من هذا جزاء كل رجل يستحق أكثر من ذلك. اقتلوه بالقوة ، ولكن لا تجسسوا في بيته ، وتلمسوا مثل هذه الأدلة ضده . أى رجل يستطيع أن يواجه الاتهام على أساس حماقة الشباب ورسائل الحب القديمة وتلك الأشياء العاطفية التي توجد في الأدراج أو في أسفل خزائن الملابس يحفظها صاحبها خشية أن يحتاج ذات يوم إلى الذكرى بأنه أحب ذات مرة ؟ كلا . حطموا الرجل لمعارضته ، اولقوته ، اولعظته ، ولكن لا تحطموه من أجل هذا .



لوباردمنت : ( إلى المجلس ) الآن يجب أن أقدم أى شهادة  
في مصلحة الرجل . . . . .

( يقاطعه ريشيليو بإشارة منه ) .

ريشيليو : ان الشيطان لا ينبغي أن يصدق حتى عندما يقول  
الحق .

لوباردمنت : سأعمل طبقا لأوامرك فوراً .  
( دى لوباردمنت يتقدم . يتجمع حوله الحراس .  
ثم ينطلقون ) .

صباح رائع .

( جراندير يتقدم نحو عامل المجارى حاملا باقة  
من الزهور ) .

العامل : ما هذه ؟

جراندير : لا بد اني التقطتها في مكان ما . لست أذكر .  
خذها لك .

العامل : شكراً . رائحتها حلوة . وهي مناسبة جداً .

جراندير : هل أستطيع أن أجانسك ؟

العامل : طبعاً . مع أني لم أرتكب ذنباً هذا الصباح .  
آسف .

جراندير : دعني أنظر إليك .

العامل : هل تحب ماترى ؟

جيراندير : جدا .

العامل : ماذا حدث ؟ إنه مشبع بالغموض .

جيراندير : كنت بخارج المدينة . كان هناك رجل يحتضر .

قضيت معه يوما وليلتين . وكانت هذه المرة  
المائة التي أشاهد فيها الموت . كان النضال فاحشا .  
وهو كذلك دائماً .

فمرة أخرى أرى رجلا عجوزاً أحيق آثماً ، يترك  
الدنيا بعد أن فات أوان الوفاق . شدد قبضته  
على يدي حتى عجزت عن الحركة . ورفع وجهه  
الملوث نحوي في دهشة ليس لها معنى مما كان يحدث  
له . ولذا فقد بقيت هناك وسط روائح الأطعمة  
الفاسدة في المطبخ . بينما أخذ أفراد الأسرة يتجادلون  
في الظلام هامسين ، بين العبرات ، عن مقدار  
المال الموجود تحت الفراش .

كان رجلا قدرا ، عجوزا ، لاينم عن مخايل  
الذكاء . وقد أحبيته حبا جما . وغبطته كثيراً  
لأنه كان يقف على عتبة الحياة الابدية . أردت له  
أن يتجه نحو الله ، ولا يتطلع وراءه خلال الضوء  
المعتم ، ويحرق مشغولاً في هذا الدار الأولى .

قلت له : كن مسروراً ، كن مسروراً . ولكنه لم يفهم .

وترأخت روحه عند الفجر ولم تستطع أن تجتاز يوماً آخر . وصدرت عن الأيسرة صيحات الذعر . أخرجت الأشياء الضرورية التي احتفظ بها في هذه الحقبة . واعترف لي بخطاياي الدنيئة الصغيرة ، ومحوها عنه ، وأمكن للرجل ان يموت . وفاضت روحه . وقد تشبث بالحياة إلى آخر رمق .

ووجهت إلى الأسرة حديثي المعتاد ، بوجه القسيس ، وهكذا أديت واجبي .

ولكني لم أستدع أن أنسى حيي للرجل . خرجت من البيت ، وفكرت في العودة على قدمي ، واستنشقت النسيم بعد غرفة الموت الضيقة . وطرقت أذني دقات جرس كنيسة القديس بطرس . وكان الطريق مترياً . اني أذكر اليوم الذي قدمت فيه إلى هذا المكان . كنت أرتدي جذاء جديداً . كان مبيضاً من التراب . هل تعلم أنني نفضت عنه التراب برداء الكهنوت قبل أن يستقبلني الأسقف . كنت في ذلك الحين مغروراً أحمق . وكنت كذلك طموحاً .

وتابعت المسير . وكانوا يعملون في الحقول ،  
ونادوني . واني لأذكر كيف كان يحلو لي العمل  
بيدي حينما كنت صبياً . ولكن أبي قال لي إن  
أن ذلك لا يلائم شخصاً في مثل أسرتي .

واستطعت أن أرمق كنيسة على بعد . وكنت  
مزهواً ، في صورة متواضعة . وفكرت في  
حي بلحمال هذا المكان الذي لم يكن جميلاً جداً .  
وتذكرت الليل في المبنى ، حيث يرى الذهب  
في الظلام مضاء بالشموع . وفكرت فيك .  
وتذكرتك صديقاً .

والقيت عصاي لأستريح . ورأيت الأرض ممتدة  
امامي . هل تعرف أين يلتقي النهران ؟  
هناك قمت بالغزل ذات مرة .

ومررت بالأطفال . نعم ، هناك بطبيعة الحال  
حصلت على هذه الزهور . انني لم التقطها .  
إنما اعطيت لي .

وراقبت الأطفال وهم ينصرفون . نعم ، لقد  
كنت مكدوداً .

واستطعت أن أرى أبعد من مرمى النظر . قلاعاً ،  
ومدائن ، وجبالاً ، ومحيطات ، وسهولاً ،  
وغابات — و —

ثم - آه ، يا بني ، يا بني - ثم أريد أن أقول لك .

العامل : هيا خبرني . وكن هادئ النفس .

جراندير : بني . انني - هل انا مجنون ؟

العامل : كلا . بل عاقل جداً . خبرني . ماذا فعلت ؟

جراندير : صورت الله لنفسي .

( صمت ) .

جراندير : صورته من النور ومن الهواء . من تراب الطريق .

من عرق يدي ، من الذهب ، ومن القذارة .

ومن ذكرى وجوه النساء ، من الأنهار العظيمة ،

من الأطفال ، من عمل الإنسان . من الماضي ،

من الحاضر ، من المستقبل . ومن المجهول . صورته

من الخوف ومن اليأس . وجمعت كل شيء

من هذا العمل العظيم ، كل ما عرفت ، وما رأيت

ومارست . ذنوبي ، ومزاعمي ، وغروري ،

ومحبتني ، وكراهيتني ، وشهوتي ، وأخيراً وهبت

نفسي ، وهكذا صورت الله لنفسي . وكان

عظيماً . لأنه كل هذه الأشياء . وكنت بكليتي في

حضرته . وركعت في الطريق وأخرجت الخبز والنبيذ .

Panem vinum in salutis consecramus hostiam (1)

---

(1) ومعناها بالعربية: تقدم الخبز والنبيذ ، قربانا من أجل الخلاص .

وبهذا الإدراك وهب الله لى نفسه عن رضى كما  
وهبت له من قبل نفسى .  
( صمت ) .

العامل : وجدت الطمأنينة .  
جراندير : بل أكر من ذلك . وجدت المغزى .  
العامل : ان ذلك يجعلنى سعيداً .  
جراندير : ثم وجدت العقل يا بنى .  
العامل : وهذه هى الصحة .  
جراندير : لابد أن انصرف الآن . لابد أن أذهب لأعبده  
فى بيته ، وأقدس فى معبده .  
لابد أن أذهب إلى الكنيسة .  
( جراندير يتقدم ويدخل الكنيسة .  
لبلند يقفون مسبرخين حول المذبح . ويتقدم  
لوبياردمنت ) .

لوبياردمنت : انت ممنوع من هذا المكان .  
جراندير : ممنوع ؟  
لوبياردمنت : انت قسيس فاسق . ليس عندك تقوى أوورع .  
يجب ألا تدخل .  
جراندير : انها كنيسة . كنيسة المحبوبة .

اوبار دمنت : لم تعبد كذلك . انت مقبوض عليك . وسوف  
تتلى عليك التهم . اتبعنى . آتوفى به

( جراندير بين الجند . يخرج من الكنيسة إلى ضوء  
الشمس ودى لوبارد منت يتقدم الطريق . ويمرون  
خلال الشارع . ويتطلع آدم ومانوري وترنسانت  
من نافذة عليا وهم يضحكون فى سخرية .  
وتشاهد المنظر فيليب ترنسانت وإلى جانبها رجل  
عجوز صامت .

يتحرك رانجير ومنيون فى الكنيسة ، ومعهما  
مبخرة ، يترنمان ، ويخرجان الشياطين .  
وباري جاث على ركبتيه فى الشارع أثناء مرور  
جراندير .

وعامل المجاري يشاهد المنظر ويتجمع حوله زحام  
من أهل المدينة ، محدثين ضجة ، ومتسائلين .  
وبينما يسير جراندير ، تمتلئ الطرقات والكنيسة  
بصياح الشياطين وضحكاتهم ، التى تصدر من  
جميع الأفواه .  
ضحك . ضحك ) .

ستار





## الفصل الثالث

في المساء .

حجرة سجن . تعلوها حجرة أخرى .  
( جراندير وحيدا .

ضحك و صياح يسع على بعد من جمهور لا يرى .  
بنتان السجنان ، يتقدم نحو جراندير )

بنتان : هل نمت ؟

جراندير : كلا . كلا . الضوضاء . الجمهور . هل ناموا ؟

بنتان : لقد تدفق على المدينة ثلاثون ألف شخص .

أين تظن يجد هؤلاء لهم أسرة ؟

جراندير : وهل هم بحاجة إلى النوم ؟ هل كنت أنا أيام

طفولتي أنام في الليلة التي تسبق الوليمة ؟

بنتان : لاشك أنهم يتطلعون اليها .

جراندير : ماهي ؟ أذكرها .

بنتان : عقوبة الإعدام .

جراندير : اني لم أقدم للمحاكمة بعد .

بنتان : حسنا . ليكن ماتريد . ولتجر المحاكمة .  
 جراندير : هل انت رجل رحيم ؟  
 بنتان : انما هو نظامكم . وأحمد الله لو وجدت رجالا  
 يقومون بالمهمة . لا تنتظر منهم أن يكونوا رؤوفين  
 كذلك . إنما أتيت لأنبئك أنك سوف تدعى  
 في الصباح الباكر . وإذن فلتحاول أن تحصل  
 على بعض النوم .  
 جراندير : شكراً لك .  
 بنتان : هل تريد أى شيء ؟ ليس عندي الكثير مما أستطيع  
 تقديمه .  
 جراندير : لا شيء . لا شيء .

( جان والأب منيون ) .

جان : لا ترحل .  
 منيون : إنها الثالثة صباحا . وأنا رجل عجوز . بحاجة  
 إلى النوم .  
 جان : لا أريد أن أترك وحيدة معه .  
 منيون : مع الرجل الذي عذبك ؟ جراندير ؟  
 جان : نعم .  
 منيون : انه تحت الحراسة المشددة .

جان : كلا . إنه هنا . في باطنى . كالطفل . إنه لم  
يكشف لى قط أى نوع من أنواع الرنجال هو .  
عرفته جميلا . وقال الكثيرون عنه إنه بارع ،  
وقال كثيرون آخرون إنه شرير . ولكن برغم  
كل قسوته على روحى وبدنى لم يأت قط بغير  
الحجة . كلا . دعنى أعبّر عما فى نفسى . أقول  
إنه فى باطنى . أنا فى قبضة الشيطان . ولكنه  
ساكن ، يرقد تحت قلبى ، ويعيش فى أنفاسى ،  
وفى دمى . وهو يخيفنى . أخاف أن أكون قد  
قد ارتكبت أجسم الأخطاء فى هذا الأمر .

مليون : ماذا تعنين ؟

جان : هل أخطأت ؟ هل اتخذ الشيطان صورة الشخص  
الذى احب ، صورة محبوبى ، ليخدعنى ؟

مليون : أبدا . الرجل رسوله .

جان : ماأشد ضآلة جسمى . إنه ميدان صغير للمعركة

التي يتقرر فيها مصير هذا النضال الفظيع بين  
الخير والشر ، بين الحب والكراهية . هل أخطأت  
حينما سمحت لهذا النضال ان تدور رحاه ؟

مليون : كلا . كلا . الست تفهمين ؟ إن هذه الأفكار  
عينها تتسرب إلى عقلك بقوى الخوف . ومن

الخطأ أن تظني أن الجحيم يقاتل دائماً بصليب  
السلاح . في هذه الآونة ، في ساعات الفجر ،  
يرسل الشيطان رسله سرّاً ، بتهامسون بما يحملون  
من رسائل الشك .

جان : لست أعرف ، لست أعرف . انكم جميعاً  
تتكلّمون بأصوات متعددة . وأنا بمجهدة .  
( تصيح ) أبى . أبى .

( جراندير وحيداً في غرفة السجن ) .  
جراندير : سوف يكون هناك ألم . وهذا الألم سوف يقضى  
على اعتقادي في الله . إن خوفي يطرده الآن  
بالفعل .

نعم ، نعم . لسنا سوى ذباب فوق الأسوار .  
نطنّ في حماره القيظ . هذه هي الحقيقة ، هذه  
هي الحقيقة . كلا ، كلا ، بل نحن مخلوقات شائبة  
خلقنا في يوم واحد . لسنا سوى صلصال بين  
يدي طفل . يا للفرع . يجب أن نحفظ في القوارير  
ونعلق في الصيدلية . كأننا نحف ، للتسلية فقط .  
إذن . لا شيء .

هل أحتمل الألم ؟ أماه ، أماه ، اذكرى خوفي !

أوه . لاشيء . هذا الصباح على الطريق .  
ماهى القصة ؟ لم تكن سوى خداع المعانى البسيطة .  
حيلة من حيل الشمس ، شىء من تعب الجسم ،  
ثم يشرع الإنسان فى الاعتقاد بأنه خالد . انظر  
إلى الآن . اقلص يدي محاولاً أن أقنع نفسى أن  
هذا اللحم وهذه العظام لها معنى .

ومع هذا فالأمر محزن ، محزن ، محزن جداً .  
يرى المرء فى الصباح داهو المجد ، فإذا حل  
المساء زالت عنه الرويا .

أبانا فى السماء . بالرغم من أننى اناضل بين  
ذراعيك كالطفل الغاضب —

هذه الحاجة إلى إيجاد المغزى . أى كبرياء هذا .  
لسنا إلا ضحايا . لاشيء ينتهى إلى لاشيء .  
دعنى أتفرس هذا الفضاء . دعنى أتفرس نفسى  
هل هناك شىء واحد ، فى الماضى أو الحاضر ،  
يؤدى إلى غرض ؟ ( صمت ) لاشيء . لاشيء .  
من هناك ؟

( يدخل الأب امبروز . وهو رجل عجوز ) .

امبروز : اسمى امبروز .

جراندير : أعرفك يا أبى .

- امبروز : انبأوني بمتاعبك يا بني . والليل قد يطول .
- جراندير : نعم . البت معي .
- امبروز : فكرت في أن أقرأ لك . أو — أن أثرت ذلك —  
أديننا الصلاة معا .
- امبروز : دعني احاول
- جراندير : كلا . أعني .
- جراندير : إنهم يهدمون إيماني . بالخوف والعزلة الآن .  
وبالآلم فيما بعد .
- امبروز : اتجه إلى الله يا بني .
- جراندير : لاشيء يتجه إلى لاشيء .
- امبروز : الله هنا ، والمسيح هو هذه اللحظة .
- جراندير : أجل هذه عقيدتي . ولكن كيف أستطيع الدفاع  
عنها ؟
- امبروز : بذكرك اردة الله .
- جراندير : نعم ، نعم .
- امبروز : بذكرك إنه لايجب أن يطلب منه شيء ، ولايجب  
أن ينكر عليه شيء .
- جراندير : أجل ، ولكن كل هذا في الكتب . وقد قرأتها .  
وفهمتها . ولكن هذا لايمكنني .  
لايمكنني . لايمكنني الآن على الأقل .

- امبروز : الله هنا . والمسيح هنا .
- جراندير : انت رجل عجوز . ألم تظفر بغير هذا النسيج المزرکش في كل سنی حياتك ؟
- إني آسف . لقد أتيتَ لصدقة خالصة . وانت الوحيد الذي فعلت ذلك . أنا آسف .
- ( امبروز يفتح كتاباً ) .
- امبروز : لابد من إرادة الألم . ولابد من إرادة المصاب . ولابد من إرادة الذلة .
- فان بالإرادة —
- جراندير : يمكن الإدراك . أعرف ذلك . اعرف ذلك .
- امبروز : إذن انت تعرف كل شيء .
- جراندير : لست اعرف شيئاً . حدثني كرجل يا أبی . تكلم عن بساطت الأمور .
- امبروز : أتيت لموتك يا بني .
- جراندير : تستطيع معونتي بكلامك كرجل . ونذا أرجوك أن تطوى الكتب . وانس ألفاظ الآخرين . ووجه خطابك إلى .
- امبروز : آه . انك تعتقد أن فی البساطة سرّاً ما . نعم انني رجل بسيط . فلم تساروني قط شكوك عظيمة . ولما كنت ساذجاً ونخبولاً كنت بطبيعة الحال

أقل تعرضاً للإغراء من غيرى . ان الشيطان  
يحب من العظمة أكثر مما استطعت أن أقدم .  
كنت فتي فلاحا اتمسك بمحبة الله لأنى كنت أشد  
نشازا من أن أطلب محبة الإنسان .  
لست المثال الطيب يا بنى . ومن أجل هذا أتيت  
بالكتب .

جراندير : انت تحط من قدر نفسك . ماذا ينبغى أن نعطى الله ؟  
امبروز : أنفسنا .

جراندير : ولكنى عديم القيمة .

امبروز : هل أذنبت كثيرا ؟

جراندير : كثيراً .

امبروز : حتى صغار الفتيات ياتين الى فى هذه الأيام ،

ويعترفن بأشياء لا أعلم شيئاً عنها . ولذا فمن  
العسير على أن أفهم ذنوب رجل فتي من رجال  
الدنيا مثلك . ولكن دعنى أحاول .

جراندير : كانت فى حياتى نسوة وشهوة . . ونفوذ وطموح .  
ودنيا وسخرية منها .

امبروز : تذكر . الله هنا . انك تتكلم فى حضرته .

والمسيح هو هذه اللحظة . وانت تكابد معه .

جراندير : أخشى الألم المقبل . أخشى الذلة .



- امبروز : هل كنت تخشى نشوة الحب ؟
- جراندير : كلا .
- امبروز : او ذلة الحب ؟
- جراندير : كنت أباهى بها . ولقد عشت بحواسي .
- امبروز : وإذن فلتمت بها .
- جراندير : ماذا تقول ؟
- امبروز : امنح الله الألم ، والرعدة ، والنفور من الدنيا .
- جراندير : نعم . أمنحه نفسي .
- امبروز : ليكشف لك عن نفسه بالطريقة الوحيدة التي تستطيع أن تفهمها .
- جراندير : نعم . نعم .
- امبروز : تلك هي كل ما يستطيع أينا أن يفعل . إننا نحيا فترة وجيزة ، وفي هذه الفترة الوجيزة نذنب .
- جراندير : نعم انا ابنه ، هذا حق . وليقبلني كما أنا . وإذن فهناك مغزى . هناك مغزى على أي حال . أنا رجل مذنب ، ومن الممكن قبولى . لست لاشيء متجهاً نحو لاشيء . إنما هو ذنب يتجه نحو العفو . إنه مخلوق بشري يتجه نحو المحبة .
- ( بتتان يدخل ) .

بنتان : عليه أن يخرج الآن . يقولون انك تستطيع أن  
تطلب الأب باري أو الأب رانجير ان كنت في  
حاجة إلى قسيس .

جراندير : يقولون ذلك ؟

بنتان : في الخارج .

جراندير : دي لوباردمنت ؟

بنتان : نعم هو .

امبروز : هل لابد أن أخرج ؟ هل يقول إني لابد  
أن أخرج ؟

بنتان : نعم يا أبي . انك خطر بسذاجتك . ولكنهم تأخروا  
عن الميعاد .

امبروز : لست أفهم .

جراندير : من هذا الطريق أفضل . دعني اقبلك .

( بنتان والأب امبروز ينصرفان .

جراندير وحيداً ) .

جراندير : ما هذه ؟ دموع ؟ متى حدث ذلك آخر مرة ؟

ماهي الحكمة في الدموع ؟

لابد أن تكون لما يفقد المرء لا لما يجده . لأن الله هنا .

ضوء النهار المفاجيء . ضحك .

( كلير وجبرائيل ولويز يظهرون في العراء ) .

- جبرائيل : المدينة كاللهي .
- كلير : كانوا يغنون قريبا من نافذتي طوال الليل .
- جبرائيل : هناك بهلوانات . اتمنى ان نراهم . لقد أحببت البهلوانات .
- كلير : ألم يسل بعضنا بعضا بما فيه الكفاية بهذه الطريقة؟ (تضحكان) .
- لويز : يظهر أننا لم نعد نسلي الآخرين . لم يقترب منا منذ أيام أحد من القسس أو من كبار أهل باريس . (جان تقبل عليهما ، غير ملحوظة) .
- جان : يجب أن تفهمي يا لويز أن محبوبتي الجماهير لهم أيامهم التي تنتهي كغيرها من الأيام .
- لويز : هل انتهى كل شيء يا أمي .
- جان : عاجلا . إنه يظهر أمام قضاته هذا الصباح ، ليبدلي بأقواله الأخيرة .
- لويز : لم أقصد الأب جراندير . إنما قصدتنا . ماذا عسانا —
- جان : ثم ينطقون بالحكم . وأخيراً يكون « السؤال » .
- لويز : وما مصيرنا يا أمي .
- لويز : سوف نعيش . أمامك حياة طويلة ، يا لويز الحسنة . فكري في الأمر .

( حجرة السجن . مانورى وحيدا .

يسمح لآدم بالدخول ) .

آدم : هالو .

مانورى : هالو .

آدم : هل أرسلوا فى طلبك ؟

مانورى : نعم .

آدم : وكذلك أرسلوا فى طلبى . بأمر من لوباردمنت .

مانورى : نعم .

آدم : اقمى أتيت بأدواتى . هل فعلت ؟

مانورى : نعم .

آدم : الأدوات التى ظننت أنها ضرورية .

مانورى : من العسير تحديد ذلك . أليس كذلك ؟

آدم : هل قمت بمثل هذا العمل من قبل ؟

مانورى : كلا .

آدم : ولا أنا ، هو ....م. الجو بارد هنا .

مانورى : أجل .

آدم : هل هو بارد فى الخارج ؟

مانورى : نعم .

آدم : بارد بالنسبة إلى الصيف .

مانورى : بالنسبة إلى أغسطس . نعم .

( دى لوبارد منت يقبل ) .

لوبارد منت : عثم صباحا ، أيها السادة . يسرنى أن أجدكم  
هنا . لقد عادوا به من المحكمة . وهو فى طريقه  
الآن .

مانورى : ماذا تريدنا أن نفعل بالضبط ؟

لوبارد منت : تعدان الرجل . لقد وصلوا إلى القرار . بالإجماع .  
وأدين .

آدم : حسنا ، حسنا .

مانورى : ليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة .

آدم : هكذا انتهى الأمر .

لوبارد منت : أريدكما أن تتعجلا ما استطعتما . لقد حظى هذا  
المخلوق بقدر هائل من العطف وهو يدلى بأقواله  
الآخيرة . بل لقد انهمرت من أجله دموع حارة .  
ولذا فأبى أريد له أن يعود إلى هناك مهينا ليستمع  
إلى الحكم بأسرع ما يمكن .

مانورى : سنبدل جهلنا .

لوبارد منت : هل تفضل يا آدم لتقابل السجنان . إنه يجمع المواد  
اللازمة ويضمها إلى بعضها .

هاتها بعدما ينتهى .

آدم : حسنا سأفعل .

( آدم ينصرف ) .

لوباردمنت : لقد كان للرجل تأثيره . وفسر بارى ذلك بأنه  
من فعل الشيطان . فليس الهدوء إلا الوقاحة الجهنمية  
التي لا تدل على إحساس ، وليست الكرامة إلا  
الزهو الذي لا يعرف الندم . ولكن الرجل برغم  
ذلك كان مؤثراً .

( يأتي أحد رؤساء الحرس بجراندير . وجراندير  
في زيه الكهنوتي الكامل ، يبدو أروع ما يكون ) .

جراندير : عم صباحا ، سيدى الجراح .

مانورى : وصباح الخير لك .

جراندير : رأيتك من قبل يا لوباردمنت .

لوباردمنت : يجب أن تعود إلى المحكمة فوراً .

جراندير : حسناً جداً .

لوباردمنت : لتستمع إلى الحكم .

جراندير : لقد فهمت .

لوباردمنت : ولذلك اطلب إليك الآن أن تخلع ملابسك

جراندير : اخلع ملابسى ؟

لوباردمنت : انك لا تستطيع أن تذهب في هذا الزي .

جراندير : لست أحسب ذلك .

(يخلع جراندير قلنسوته ثم يشرع في خلع الحرملة.  
يدخل آدم مع بنتان . ويحمل آدم صينية فوقها  
آنية بها ماء ، وبعض الزيت ، وموسى) .

جراندير : صباح الخير ، سيدى الصيدلى . ماذا تحمل ؟  
آدم : (متلعثا) انه موسى .

جراندير : (بعد لحظة إلى لوباردمنت) هل يجب أن يتم  
بهذه الطريقة ؟

لوباردمنت : نعم هو أمر المحكمة .

(مانورى يتناول الموسيقى ويجريه على ابهامه) .

جراندير : عجباً سيدى الجراح . هل لم تنته بك دراستك  
وتجربتك كلها إلى غير هذا . إن سهر الليالى الذى  
انفقته في دراسة وجود الوجود لم ينته بك إلى غير  
هذا . لتكون حلاقاً .

لوباردمنت : هيا .

جراندير : لحظة .

(جراندير يمس خصلات شعره السوداء . ثم  
يداعب شاربيه بأصابعه) .

جراندير : هل عندكم مرآة ؟

لوباردمنت : كلا ، كلا . ليس عندنا بالطبع .

بنتان : خذ هذا .

( بتتان يتناول فنجانا فارغا من المعدن من فوق  
الصينية . يجلو قاعدة الفنجان بكفه ويسلمه  
لجراندير . يقف جراندير متطلعا إلى صورته طويلا  
وفي عمق شديد ) :

مكان عام :

( جمهور كبير . من الريف ومن المدينة . يتشاءبون  
في استرخاء وينادي كل منهم الآخر .  
وعلى جانب مكان محجوز به بعض النسوة  
البرجوازيات في رداء فاخر . تصدر عنهنثرثرة :  
ويرى كاتب وسط تلال من الكتب .  
صمت مفاجيء . كل الرءوس تتجه نحونا .  
ينفض الكاتب ، ويقرأ ما يلي ) :

الكاتب : أربان جراندير . لقد وجدت مذنباً لا تجارك مع  
الشیطان . وأنتك استغللت هذا الحلف غير المقدس  
في امتلاك نفوس بعض الأخوات التابعات  
لنظام القديسة أرسولا ، وغوايتهن والفسق بهن  
( وأسمائهن مذكورة بالكامل في هذه الوثيقة ) .  
وكذلك وجدت مذنباً لفجورك ، وتجديفك في  
حق الله ، وانتهاك حرمة المعابد . وقد صدر



الحكم بأن تتقدم وتركع عند أبواب كنيسة  
القديس بطرس ومعبد القديسة أرسولا . وهناك  
وحول رقبته الحبل ، وبين يديك رطلان من  
الشموع ، تطلب العفو من الله ، ومن الملك ، ومن  
العدالة . ثم صدر بعد ذلك الحكم بأن تساق إلى  
ميدان القديسة كروا حيث تشد إلى قائمة خشبية  
وتحرق حياً . وبعد ذلك يبعثر رمادك لتدروه  
الرياح .

وكذلك صدر الحكم أن تقام لوحة تذكارية في  
معبد أرسولين ينضم ثمنها — الذي لم يقدر بعد —  
من قيمة « ضيعة المصادرة » .  
وأخيراً قبل نفاذ الحكم تسأل ، سؤالاً عادياً  
وسؤالاً غير عادى .

صدر في لودان في الثامن عشر من أغسطس  
عام ١٦٣٤ . ونفذ في نفس اليوم  
( يظهر جراندير في الضوء رويداً رويداً . ويلداه  
مغلولتان خلف ظهره . وهو يرتدى ملابس النوم  
وحذاء مكشوفاً ، وعلى رأسه قلنسوة وطاقية على شكل  
الجمجمة ، وبصحبه دى لوباردمنت وماورى  
وآدم . وكذلك بارى ورائجير ومنيون ، الذين

يرشون الماء المقدس ، بالمنافض المقدسة ،  
وينشدون الأحكام الخاصة بإخراج الشياطين .  
يتقدم دى لوباردمنت . يتزع عن رأس جراندير  
القبة والقلنسوة ويقذف بهما إلى الأرض . —  
فينكشف جراندير ، وهو حليق تماماً . فقد  
اختفت خصلاته الرائعة ، وشارباه ، بل وحاجباه .  
يقف كالرجل المخبول الحليق .  
تسمع قهقهات هستيرية مفاجئة من النساء اللاتي  
كن في المكان المحجوز .  
صمت .

( جراندير يوجه حديثه إلينا )

جراندير : سادتي

إنني أشهد الآب والابن والروح القدس والعذراء  
أنني لم أكن قط ساحراً . إن السحر الوحيد الذي  
مارسته هو سحر الكتاب المقدس . أنا بريء .  
( صمت . ثم همسة من النسوة : وضحك سخيف )  
أنا بريء ، وأنا خائف . أنني حريص على  
خلاص . إنني مستعد لملاقاة ربي ، غير أن  
العذاب المريع الذي قضيت به عليّ في طريقي قد  
يدفع روحي البائسة إلى اليأس . — إلى اليأس أيها

السادة وهو أخطر الذنوب . وهو أقصر الطرق  
إلى اللعنة الأبدية . انكم بحكمتمكم لم تقصدوا  
قطعاً إلى قتل روحى ، ولذا فهل لى أنا أرجوكم ،  
برحمتكم ، أن تخففوا عني العقاب ولو قليلا .

( جراندير يتفرس الوجوه . صمت ) :

حسناً جداً . عندما كنت طفلاً رويت لى قصص  
الشهداء . وقد أحببت الرجال والنساء الذين ماتوا  
فى سبيل كرامة يسوع المسيح . وفى أوقات  
العزلة كثيراً ما تمنيت أن أكون من زمريهم .  
والآن ، وأنا قسيس غافل مغمو ، لا أستطيع أن  
أزعم وضع نفسى بين هؤلاء الرجال الأعظام  
المقدسين . ولكن هل أستطيع أن أقول إنى آمل  
من كل قلبى ان الله سبحانه وتعالى ، أبانا فى  
السماء ، يعفو عني بانتهاء هذا اليوم ، ويجعل  
آلامى تكفر عن حياتى الفوضوية الباطلة . اللهم  
آمين .

( صمت . ثم ينبعث صوت رجل من جهة ما وسط  
الجمهير يردد فى وضوح . قول جراندير آمين .  
ثم آخر . ثم صمت . ولا يسمع إلا صوت امرأة  
تبكي بكاء مرأ )

ذی لوباردمنت : ( إلى رئيس الحراس )

اخرجهم جميعاً من هنا .

( يشرع الحراس فوراً في إخلاء المكان . ينصرف

الجمهور من الردهات ، ويهبط السلم ، بعضهم

يشكو ، وبعضهم يحتاج .

يبقى جراندير مع لوباردمنت والكاتب وباري

ورانبير ومنيون .

لم يتحرك جراندير من مكانه وقد لبث مواجهاً

للقضاه :

یری دی سبریزای ودارمنیاك . وهما متفصلان ،

یشاهدان المنظر .

دی اوباردمنت یواجه جراندير . ویوجه إلیه

الخطاب ) :

لوباردمنت : اعترف بجرمتك واذكر لنا أسماء رفيقاتك . بعدئذ

ربما ينظر سادتي القضاه في رجائك .

جراندير : لا أستطيع أن أذكر أسماء رفيقات لم يكن لي :

ولا أن أعترف بجرائم لم أرتكبها .

لوباردمنت : إن هذا الموقف لا يجديك نفعاً . بل سوف تعاني منه

جراندير : أعلم ذلك . وأنا فخور .

لوباردمنت : فخور يا سيدي ؟ ان هذا انلفظ لا يلائم موقفك .

أستمع إلى يا عزيزي، - فكروا وثاق يديه - إن هذه الوثيقة اعتراف بسيط . خذ هذا القلم ، ووقع باسمك على هذه الورقة . وبذلك نستطيع أن نتغاضى عن المرحلة التالية من الاجراءات .

جراندير : اعفى من هذا يا سيدى . كلا .

لوباردمنت : لا أريد غير توقيعك . هيا . هذا كل ما فى الأمر .

جراندير : إن ضميرى يمنعنى من التوقيع على شيء يخالف الواقع .

لوباردمنت : إذا وقعت وفرت علينا جميعاً كثيراً من المتاعب . الوثيقة صادقة ولاشك ( يصيح ) إنها صادقة وقد ثبت ذنبك .

جراندير : أنا آسف .

لوباردمنت : أنا أخشى عليك يا جراندير . أخشى عليك كثيراً . ولقد رأيت قبلك من الرجال من وقف هذا الموقف الجرىء فى ظل « السؤال » وكانت تلك حماقة يا جراندير ، فكر مرة أخرى .

جراندير : كلا .

لوباردمنت : سوف تساق قبل موتك إلى الظلام . دعنى أحدثك لحظة عن الألم . يشق علينا جداً نحن الواقفين هنا ، وكلنا من الأصحاء ، أن نتصور الرّ الألم المميت .

إن الشمس ترسل أشعتها الآن على وجهك دافئة .  
 أليس كذلك ؟ وتستطيع أن تحرك أصابع قدميك  
 إن أردت داخل حذائك المكشوف . انت رجل  
 حي . وأنت تعلم ذلك ، ولكن عندما يطرحونك  
 أرضاً في تلك الغرفة الصغيرة والألم يصرخ فيك  
 كأنه صياح ، عندما يحدث ذلك يكون تفكيرك  
 أولاً هو هذا : كيف يصنع الإنسان ذلك بالإنسان ؟  
 ثم : كيف يسمح به الله ؟ ثم : لا يمكن أن يكون  
 هناك إله ، ثم : ليس هناك إله . وبعد ذلك يقوى  
 صوت الألم ، وتضعف إرادتك . ويكون اليأس  
 يا جراندير . وقد استعملت أنت نفسك هذه  
 الكامنة . وقلت عن اليأس إنه أخطر الذنوب .  
 لا تنبذ الله في هذه اللحظة . عد إلى نفسك . لأنك  
 أسأت إلى الله إساءة كبرى . اعترف .

جراندير : كلا

دارميناك : هل يجري الدمع من عيني دى لوبار دمنت ؟

دى سيريزاى : أخشى ذلك .

دارميناك : هل هو يعتقد فيما يقول ؟

دى سيريزاى : نعم . منظر مؤثر . أليس كذلك ؟

لوباردمنت : ( إلى جراندير ) حسناً جداً . أرجوك مرة أخرى .

مرة أخرى . هل توقع ؟

( جراندير يهز رأسه ) .

لوباردمنت : ( إلى جراندير ) حسناً جداً . أرجوك مرة أخرى .

مرة أخرى . هل توقع ؟

( جراندير يهز رأسه )

لوباردمنت : ابعده .

( الحرس يحيط بجراندير )

جراندير : عندي مطلب واحد .

لوباردمنت : ما هو ؟

جراندير : هل يمكن أن يرافقني الأب امبروز ؟

لوباردمنت : كلا .

جراندير : إنه رجل عجوز لا ضرر منه . ولن يقف في سبيلك .

لوباردمنت : لقد غادر المدينة ، وأرسلناه بعيداً عنها . إن

كنت تريد روحانيا وجه خطابك إلى أحد هؤلاء  
السادة .

( جراندير يتحقق في باري ورائجير ومنيون لحظة

قبل أن ينصرف مع الحرس . يتبعه دي لوباردمنت

والكاتب ) .

منيون : لقد كان الرجاء الأخير لمندوب الملك مؤثراً .

رانچر : جداً .  
 باری : أعتقد أنكم تفهمون من رفض جراندير للتوقيع  
 أنه دليل نهائي على جريمته .  
 منيون : أجل . أجل . أظن ذلك .  
 باری : لقد كتم الشيطان فمه ، وأدخل على نفسه العناد  
 ضد الندم .  
 منيون : طبعاً . هذا هو السبب .  
 باری : هل ننصرف ؟  
 ( باری و رانچر و منيون ينصرفون )  
 دارميناك : تعال معي إلى بيتي يا دي سيريزاي  
 دي سيريزاي : ليكن ذلك يا سيدتي .  
 دارميناك : سنجلس معاً ونفكر في حوادث النهار :  
 ونحن — فيما أعتقد — رجلان عاقلان . نجلس —  
 ونشرب . نعم ، سوف نشرب حتى نسكر . ونباغ بنا  
 السكر أن نتصور الروي . هيا بنا .  
 ( دارميناك و دي سيريزاي ينصرفان ) .

( حديقة . تدخل جان . عارية الرأس . ولا ترتدي  
 سوى قميص داخلي بسيط أبيض . وتبدو كالطفلة  
 يجسمها الصغير المشوة . حول رقبتها حبل وفي



يدها شمعة . تقف ساكنة بغير حراك . كلير  
وجبرائيل ولويس يتجمعن على بعد من جان ،  
ويراقبنها في دعر شديد . ثم تتقدم نحوها كلير )

كلير : تعالى يا أمي .

جان : كلا يا بني .

كلير : إن الشمس حامية جداً بعد المطر . ولن تفيدك .

جان : ابحي لي عن مكان — لا يكون مرتفعاً جداً —  
حيث أستطيع أن أربط هذا الحبل . فأنا في سبيل  
البحث عن مثل هذا المكان .

كلير : كلا ، يا أماه . هذا أفضع ذنب .

جان : ذنب ؟

كلير : نعم .

( كلير تحمل عقدة الحبل وتبعده . وتتقدم لويز  
بعباءة تلف بها جان ) .

لويز : لا تفرعينا يا أمي .

جان : لقد تيقظت ليالي متوالية على صوت بكاء . وقد

جست خلال المكان على اعثر على الباكي . فإن  
بين جنبي قلباً كغيري من الناس . ويمكن أن أنهار  
من مثل هذا البكاء .

- لويز : ليس البكاء لأحد هنا .
- جان : لم يطرأ لي قط أن بالامكان للمرء أن يعاني مثل هذا اليأس وهذه الكآبة .
- لويز : ولكن ليس هناك أحد .
- جان : لا أحد ؟
- كلير : إنه الشيطان . فهو يستطيع أن يشهق إذا طلب إليه ذلك . نعم يا أمي . فكري في الأمر . إن الأب جراندبير يتمنى أن ترافقيه إلى الجحيم . ولذا فهو يوعز إلى الشيطان أن يصبح بالليل ويحطم قلبك ويدفعك إلى أن تضعي الحبل حول رقبتك لتشنقي نفسك . لا تجعلى للخديعة إليك سبيلا .
- جان : أليس هناك مفر ؟ وهل هي كلير التي تتحدث ؟ كلير التي تعودت أن تحدثني عن براءة المسيح ؟ كم الساعة ؟
- لويز : تجاوزت الثانية عشرة ظهراً بوقت قصير .
- جان : أتركوني جالسة هنا . وأعدكن ألا أؤذي نفسي . أتركوني .
- ( كلير ولويز وجبرائيل ينصرون ، ويتركن جان وحيدة ) .

ويشق الصمت صوت ممقوت لمطرقة تدق . صياح)

( في الغرفة العليا . جراندير ممتد فوق الأرض ،  
موثوقاً بالحبال . وساقاه من الركبتين إلى القدمين  
محفوظتان فيما يشبه الصندوق . داخل الصندوق  
ألواح متحركة ، تدفعها إلى الداخل أوتاد  
ضخمة ، تسحق ساقيه .

بنتان يطرق الأوتاد إلى الداخل .

ما نوري وآدم ومنيون يجثمون في الغرفة السفلى .  
وينحني إلى الأمام باري وهو يجلس عند رأس  
جراندير ) .

باري : هل تعرف ؟

( يهز جراندير رأسه علي مهل . ثم يتجه باري  
ببصره نحو لوباردمنت الذي يستند إلى الحائط )

لوباردمنت : ( لبونتان ) غيره (١) .

( يلتقط بونتان وتدا آخر ولكن سرعان ما ينتزعه

رانجير من يده )

رانجير : لحظة . ( يرش على الوتد ماء مقدساً ، ويرسم

فوقه علامات )

---

(١) يقصد طريقة أخرى

ضرورى جداً . لأن الشيطان عنده من القوة ما يجعل  
الآلم أخف مما ينبغى .

بنتان : هل انتهيت ؟

رانجير : نعم .

( يسلم الوتد لبونتان ، الذى يده ) .

بارى : اضرب . اضرب .

( يدهق بنتان بالمطرقة . صبيحة

فى الغرفة السفلى ) .

مانورى : ما مقدار ما يستطيع أن يلفظ الإنسان فى نفس  
واحد ؟

آدم : لست أدرى .

مانورى : إني أتعجب .

آدم : لا يطرأ على بالك عندما تشرع فى أمر أن— هو... م

مانورى : ماذا تقول ؟

آدم : لا شئ . إنما أنا أفكر بصوت مسموع .

( ضربة بالمطرقة . بارى ينحنى إلى الأمام )

بارى : اعترف .

جيراندير : أنا على أتم استعداد لأن أعترف بذنوبى الحقيقية .

كنت رجلاً . وأحببت النساء وكنت فخوراً  
بنفسي . وكنت أتطلع إلى السلطة .

بارى : ليس هذا ما نريد . كنت ساحراً ، وكانت لك مع  
الشیطان تجارة .

جراندير : كلا . كلا .

بارى : غيره . أوه . سلمني الورد والمطرقة .

( بارى ينتزع الورد والمطرقة من بتان . وبضربتين  
قويتين يدق الورد دون أن يظهر من الشياطين .  
يرن صدى صياح جراندير في الحديقة حيث  
تجلس جان وحيدة )

جان : إن المرء لا يجد الله إلا في الأعماق السحيقة .  
أنظروا إلى . أردت أولاً أن ألقاه في البراءة .  
فلم يكف هذا . ثم كان الكذب والتمثيل . وكان  
الآثم وكانت الذلة . فلم يكف هذا . ثم كانت  
الحركات البهلوانية التي قمنا بها لآعين القسس  
الشهوانية . ياللقذارة . إن ذلك لا يكفي . لأبد من  
التعمق ، والتعمق السحيق .

( رنين المطرقة . صوت جراندير )

جراندير : إلهي ، إلهي ، إلهي . لا تتخل عني . لا تجعل هذا  
الآلم ينسيني إياك .

جان : في الأعماق . في الأعماق . في غفلة البلهاء .  
حيث لا فكر ، ولا شعور . حيث لا شيء . هل  
يوجد الله هنا ؟

( الغرفة العليا . يتقدم دى لوباردمنت )

لوباردمنت : ابعده . لا فائدة .

( باري ورانجير وبتتان يحملون جراندير من  
الصندوق ، ويجسونه فوق مقعد بغير ظهر .  
يغطي بتتان ساقى جراندير المحطمة بسجادة صغيرة .  
جراندير يحدق في نصفه الأسفل ) .

Attendite et videte si est dolor  
sicut dolor meus. (1)

: جراندير

( جان ينهض )

جان : أين أنت ؟ أين أنت ؟

( جان تخرج من الحديقة

باري ورانجير . يهبطان إلى الغرفة السفلى ) .

آدم : هل من فائدة ؟

باري : كلا

مانورى : لا اعتراف .

باري : كلا

---

(1) ومعناها بالعربية : اصغوا وانظروا ، أن كان هناك حزن مثل حزنى

آدم : عجباً .  
 باری : السبب معقول جداً .  
 مانوری : ما هو ؟  
 باری : دعا ربه أن يهبه القوة . وربه هو الشيطان . وقد فعل :

جعله لا يحس الألم ولن نصل إلى نتيجة بهذا الشكل .  
 آدم : لا يحس الألم ؟ وماذا كانت كل تلك الصيحات ؟  
 باری : سخرية  
 ( باری ومنيون ورائجير يهبطون إلى الشارع )

( الغرفة العليا ) :

جراندير : لا تأبهوا بهذه الدموع . ليست سوى دليل على الضعف :

لوبياردمنت : هل هذا هو تأنيب الضمير ؟

جراندير : كلا

لوبياردمنت : اعترف

جراندير : كلا . هناك أمران لا ينبغي أن يطلب إلى الرجل أداؤهما أمام الآخرين . مضاجعة المرأة ، ومكابدة الألم . وأنتم أيها الناس تعرفون كيف تتزلون على

الأرض الجحيم لرجل مثلى . ذلك انكم تجعلون  
كل شىء علينا .

لوباردمنت : هذا غرور منك يا أبى .

جراندير : هل هو كذلك ؟ لست أظن ذلك . إنما الرجل شىء  
خاص بنفسه . فهو ملك ذاته . وهاتان التجربتان  
الشخصيتان : الحب والألم ليس لهما بالعامه شأن .  
كيف تهماها ؟ لأن العامة لا تحسهما .

لوباردمنت : إن عامة الناس تتألف من أرواح مسيحية . وهناك  
سنة آلاف منهم ينتظرونك فى ساحة السوق .  
خبرنى . هل تحب الكنيسة ؟

جراندير : من كل قلبى .

لوباردمنت : هل تريد أن تراها أقوى نفوذاً وأكثر إحساناً ،  
حتى تشمل كل روح بشرى فوق الأرض ؟

جراندير : لكم أتمنى ذلك .

لوباردمنت : إذن عاوننا على أن نحقق هذا الهدف العظيم . إذهب  
إلى ساحة السوق رجلاً نادماً . واعترف .  
وباعترافك أعلن لهذه الآلاف أنك عدت إلى أحضان  
الكنيسة . أما إذا ذهبت إلى الألواح الخشبية تحرق  
فوقها وأنت غير نادم فأنت تسيء إلى الله . إنك



تدخل الأمل في قلوب المتشككين والملحدين .  
إنك تدخل السرور إلى نفوسهم . إن مثل هذا  
العمل يهدا الكنيسة من أساسها . فكر في الأمر .  
لم تعد رجلاً هاماً . هل لك أهمية بعد هذا ؟

جراندير : كلا

لوباردمنت : وإذن فلتصدر عنك إشارة عظيمة أخيرة من أجل  
العقيدة الكاثوليكية .

( صمت . دى لوباردمنت ينحنى إلى الأمام  
مشغولاً . ثم يرفع جراندير بصره إلى أعلى .  
وترسم على وجهه ابتسامة الألم ) .

جراندير : هذه سفسطة يا لوباردمنت . وأنت أذكى من أن  
تجهل ذلك .

اثن على كما اثبت عليك .

لوباردمنت : هل تستطيع أن تضحك ؟ الآن ؟

جراندير : نعم لأننى أعلم بالأمر منك .

لوباردمنت : حينما أقول لك يا جراندير —

جراندير : لا تصر . إننى أستطيع أن أهلك . على الأقل في  
الجلد . احتفظ بأوهامك يا سيدى المندوب .

إنك في حاجة إليها كلها لتتعامل مع الرجال الذين  
سوف يأتون من بعدى .

لوباردمنت : اعترف .

جراندير : كلا

لوباردمنت : اعترف

جراندير : كلا

لوباردمنت : وقع

جراندير : كلا

( دى لوباردمنت يتجه نحو الباب . ينادى لمن  
بأسفل السلم )

لوباردمنت : أرسلوا إلى الحراس هنا

### الشارع

( الجمهور يحلق على بعد . والناس صامتون  
يتنقلون . قلقون . أنفاسهم معلقة . يقبل عليهم  
بارى ورائجير ومنيون . رائجير ومنيون يرشان  
الماء المقدس ويرتلان أناشيد لإخراج الشياطين .  
بارى يتحرك وسط الجمهور ، ويمسك الرجال

والنساء من أذرعتهن . ويتحدث إلى كل منهم  
على انفراد ) .

بارى

: أبنائى الأعزاء ، إنكم توشكون أن تشهدوا ذهاب  
رجل شرير غير تائب إلى جهنم . أرجوك -  
أنت يا سيدى - أن تدخل المشهد فى قلبك .  
وليكن درساً لك - يلزمك - أيتها المرأة الطيبة -  
طوال حياتك . اشهدوا هذا الساحر صاحب السمعة  
السيئة ، الذي اتفق مع الشياطين واسأل نفسك -  
يا بنى - هل هذا هو مصير المرء إذا استهان بالله ؟  
( طبول . جراندير يصبح على مرأى . يجلس على  
مقعد مهشم ، حتى ليكاد أن يكون حطاماً ،  
ويحمله أربعة من الجند . يلبس قميصاً مشحوناً  
بالكبريت ، أصفر فاقع ، وحول رقبته حبل .  
وساقاه المخطمتان تتدليان . إنه كالدمية المضحكة  
المهشمة ، بغير شعر . ويسير إلى جواره الكاتب .  
يتبعه دى لوباردمنت والجند )

دير القديسة أرسولا

( المؤكب يصل إلى باب البيت ، ثم يتوقف عن

المسير . يضع الكاتب رطلين من الشمع بين  
يدي جراندير ) .

لوباردمنت : يجب أن تنزل هنا .

جراندير : أي مكان هذا ؟

لوباردمنت : إنه دير القديسه أرسولا . مكان دنسته

( يرفع أحد الجند جراندير من فوق المقعد المحطم  
وكأنه طفل ، ويضعه على الأرض )

لوباردمنت : أدما يجب أن يؤدي .

جراندير : في هذا المكان الغريب المجهول أسأل العفو من الله ،  
ومن الملك ، ومن العدالة أرجو أن —

( يقع منكفئاً على وجهه ، ويصيح )

Deus meus, miserere mei Deus ! (1)

ينفتح باب الدير ومن مدخله المظلم تظهر جان  
وجبرائيل وكليرو ولوينز )

لوباردمنت : أطلب العفو من رئيسة الكاهنات ، ومن هؤلاء  
الأخوات الطيبات .

جراندير : من هؤلاء النسوة ؟

---

(1) ومعناها بالعربية : اي دى ، ادنى لحالى ، ايها الرب .

لوبيار دمنت : هم القوم الذين أسأت إليهم . أطلب العفو منهم .  
جيراندير : إننى لم أقدم إليهن أساءة . وليس بوسعى إلا أن  
أسأل الله أن يعفو عنهن .

( صمت مطلق عندما يحدق جيراندير وجان ، كل  
منهما فى الآخر ) .

جان : كانوا دائماً يتحدثون عن جمالك . والآن أشهده  
بعينى ، وأؤمن بأنه حق ،  
جيراندير : أنظري إلى هذا الذى صرتُ إليه . وتعلمى معنى  
الحب .

( طبول . يرفع جيراندير مرة أخرى فوق المقعد .  
ويتحرك الموكب مبتعداً . جرس ضخم يدق .

Dies irae, dies illa,  
Solver saeculum  
أصوات ترتفع . )  
In favilla, teste David cum Sybilla.  
Quantus termor est futurus, quando (١)  
judex est venturus, cuncta stricte discussurus.

( جان وحيدة تتقدم . ظلام )

---

(١) ومعناها بالعربية : ان يوم الغضب ، ذلك اليوم سوف ياتى على الجنس  
البشرى فى الرماد الحامى بشهادة داود وسوبيللا « حرافة اسطورية رومانية »  
ما أعظم الرعب الذى سوف يحدث عندما يأتى القاضى الذى سوف يتناول  
كل شيء بحديث صاف محكم

طرقاٲ لودان . بالليل

( وكان المدينة تٲترق . المباني البعيدة ترى كالظلال  
وسط سماء شديدة الحمرة . وباب الكنيسة مفتوح  
وكانه ثغرة كبريتية . ويرى رجال مسلحون  
يحملون الأعلام ويعبرون قنطرة . ورجل يتسلق  
سلماً خشبياً . يلوح عن بعد في حزن لارجاء فيه .  
والجمهور الذي كان يراقب جراندير على  
بعد — قد تشتت ، وأخذ يندفع ، في حالة  
هستيرية ، يصيح ، ويضحك ، في الطرقاٲ .  
جان تتجول وحدها .

مانورى وآدم )

مانورى : عجب جداً .

آدم : أى شىء ؟

مانورى : شحم الإنسان الذى تصيره الحرارة شىئاً يشبه  
الشمع ، ثم يشتعل لهيباً له لون يخطف البصر .

آدم : كل شىء غريب جداً .

مانورى : ولكنه مشوق . أعتقد يا آدم أنه لو كان فى عملك  
كصيدلى شىء جميل ، فهو فى هذه الناحية .  
الست ترى معى ذلك ؟

- آدم : ربما :  
( ينصرفان )  
بارى ومنيون ورائجير )  
بارى : ثقوا أنه فى الجحيم .  
منيون : إنه يشوى هذه الليلة :  
بارى : ياله من رجل مخيف ، لا يعرف التوبة .  
رائجير : هل تعلمون لئن رأيت نساءه قابعات هناك يراقبن .  
صحيح إن أحدا من كانت تبكى . ولكنها كانت  
ترقب ، ولم تغض النظر قط .  
بارى : شياطين . كلهن شياطين . ما بك ؟  
منيون : لا أشعر بتمام الصحة .  
بارى : ( يضربه على ظهره ) ربما ابتلعت شيئا من الدخان .  
منيون : سأذهب إلى فراشى الآن إن سمحتم :  
بارى : كلنا سنأوى إلى الفراش يا منيون . أما كم نلث  
فى الفراش فأمر يتوقف على الشيطان الصديق .  
نعم لقد قهرناه وبسطنا السلام فى هذا المكان اليوم .  
ولكن ثق أنه حتى فى هذه اللحظة يعود متسللا .  
آه يا أصدقائى الأعزاء . إن أمثالنا من الرجال لن  
يتبطل عن العمل قط .

( ينصرفون )

فيليب ترانسانت في حمل بشع ، وتتحرك متناقلة  
وهي تقود « الرجل العجوز » من يده )

فيليب : هيا بنا إلى البيت يا زوجي العزيز . يجب أن تسارع  
الخطي . ماذا ؟ ( الرجل العجوز يهمس في أذنها )  
هل أثارك كل هذا الذي شهدت اليوم ( يهمس  
مرة أخرى ) نعم ، سوف تفعل ما بدا لك .  
وسأقوم لك بكل ما أستطيع . امسح فمك .  
إن أمامنا سنوات كثيرة سعيدة . ماذا ، نعم ،  
بالتأكيد هناك طريق . وسوف أدور وأدور من  
حولك . وحق يسوع سوف أفعل . سوف أريك  
الأعيب . لذلك هيا بنا إلى البيت يا عزيزي .

( فيليب والرجل العجوز ينصرفان  
دارميناك وسيريزاي . مخموران ) :

دارميناك : لا ينبغي لنا أن نفعل هذا يا دي سيريزاي . نحن  
العقلاء التقديمين في عصرنا . يجب أن نكون  
خازمين .

دي سيريزاي : صدقت

دارميناك : خازمين في هذا الاتجاه أو في غيره . لست أدري



أيهما . لماذا يمتلئ الجو بالحشرات هذا المساء؟  
ماذا كنت أقول؟

دي سيريزاي : يجب أن نكون حازمين .

دارمنياك : ونثبت ارادتنا

دي سيريزاي : فهم؟

دارمنياك : فيما نعتقد .

دي سيريزاي : وماذا نعتقد؟

دارمنياك : أسألني غداً . هل أنا مجنون؟ هل كانا يرتكبان

الفاحشة في عرض الطريق هناك؟ وماذا كانت

تلك المرأة العجوز تحمل في سلتها؟ هل هي بقايا

إنسان؟ ولماذا كان ذلك الحيوان يقود انساناً

بجبل؟ ما هذه الرائحة الغريبة الحلوة التي تفوح

في المكان؟ ومن هذا الموسيقى المنكب مصلوباً فوق

القيثارة؟ ما معنى هذا كله يادي سيريزاي؟ يجب

أن تفسر الأمر باعتبارنا من العقلاء .

دي سيريزاي : لا أستطيع ذلك .

دارمنياك : ولا أنا . ولذا أرجو أن تأخذني إلى بيتي .

(ينصرفان)

جان يؤدي بها تجوالها في الطرقات إلى عامل المجاري)

العامل : بعد ما انتهى الأمر بدّوه بالجاروف شمالا وجنوبا  
وشرقا وغربا :

جان : هل تعلم من أنا ؟

العامل : نعم سيدتى ، إني أعرفك .  
( بعض افراد الجمهور يمرون . يقتتلون فيما بينهم  
من أجل أشياء تنتقل من يد إلى أخرى )

جان : ماذا يفعلون ؟

العامل : إنهم يلتمسون أجزاء من الجسم .

جان : لتكون عندهم آثاراً ؟

العامل : لا تحاولي أن تواسي نفسك . كلا . إنهم يريدونها  
تعاويز . وفرق بين التعويذة والأثر كما تعلمين  
( ينتزع عظمة محترقة من يد أحد الرجال )  
إنهم لا يريدون أن يعبدوا هذه . إنما يريدونها  
ليعالجوا بها الإمساك أو الصداع ، أو لتسترد لهم  
رجولتهم أو زوجاتهم . يريدونها للحب أو  
للكراهية ( يقدم إليها العظمة ) هل تريدونها  
لأمر ما ؟

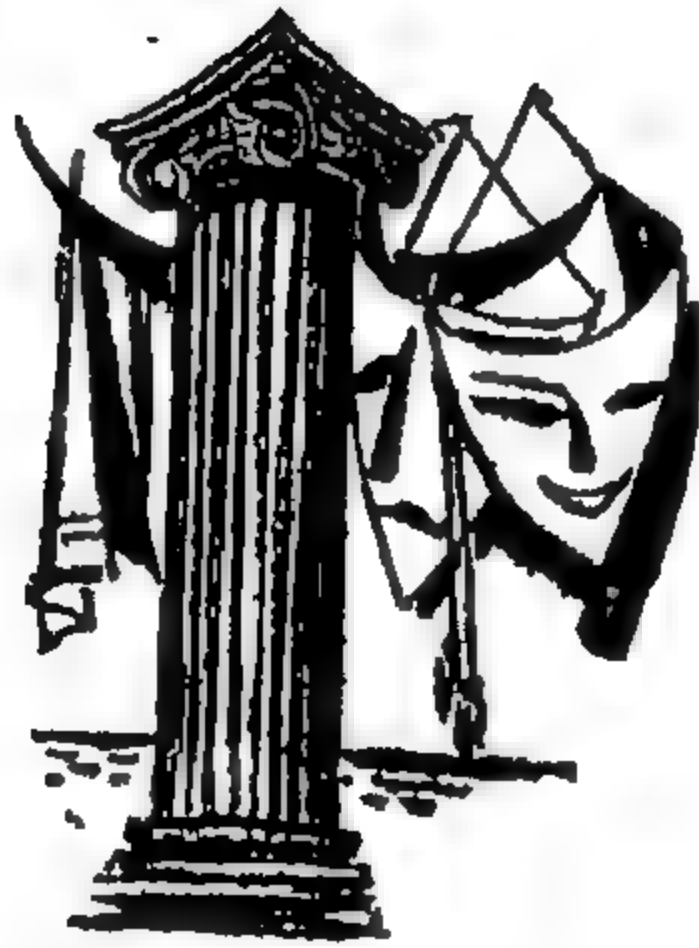
( جان تهز رأسها . يتشتت الجمهور . وينصرف )

العامل . جان وحيدة . تصيح بصوتها الشخصي . (

جان : جراندير ! جراندير !

( صمت )

ستار





الفہرہ

[illegible]

الذات المعنوية للطائفة والنشئة







## المؤلف

جون هوايتنج ...

ولد في سنة ١٩١٧ بسولزيرى  
بانجلترا والتحق بالاكاديمية الملكية  
للفنون المسرحية واشتغل بالتمثيل  
ثم التحق بسلاح المدفعية ، وبعد  
انتهاء الحرب العالمية  
الثانية عاد للمسرح ... وكرس وقته  
للتأليف المسرحي وكان يكتب مسرحياته  
بروح الشاعر المتقن لفنه .

ومن مسرحياته « الأغنية بقرش »  
سنة ١٩٥١ ، و « نشيد المشاة »  
١٩٥٤ ، و « ابواب الصيف » ١٩٥٦  
و « يوم القديسة » التي نال عليها  
جائزة مجلس الفنون البريطاني  
و « بغير سبب » وغيرها .

وكتب للسينما والتليفزيون عدة  
مسرحيات منها «جولة في الصحراء»  
وهذه المسرحية « الشياطين » وقد  
لاقت نجاحا منقطع النظير على المسرح  
بلندن ١٩٦١

ومات بالسرطان عام ١٩٦٣ ولقد كان  
من الرواد المجددين الذين قدّمهم  
المسرح الانجليزي .

## المترجم

الاستاذ محمود محمود

تخرج في المعلمين العليا سنة  
١٩٣٠ وتخصص في اللغة الانجليزية  
وادابها في جامعة اكستر بانجلترا  
ويشغل الآن منصب عميد تفتيش  
اللغة الانجليزية لوزارة التربية  
والتعليم .

وقد ألف كتابا في « الأدب  
الانجليزي » وآخر في « التحليل  
النفسي » و « اعلام في العصر الحديث »  
ومما ترجم وهو كثير « ال  
والتر سكوت و «الوسا  
و « العالم الطريف » لا  
و « تاريخ الفكر الغربي  
برنتون و « آراء فلسف  
و « سقراط » لبيسون  
السليم « لاريك فروم  
تولستوى » وغيرها .

كما اسهم بعشرات

مجلات « الرسالة » و «

و « المجلة » و « تراث الإنسانية »

و « الفكر المعاصر » وغيرها .

